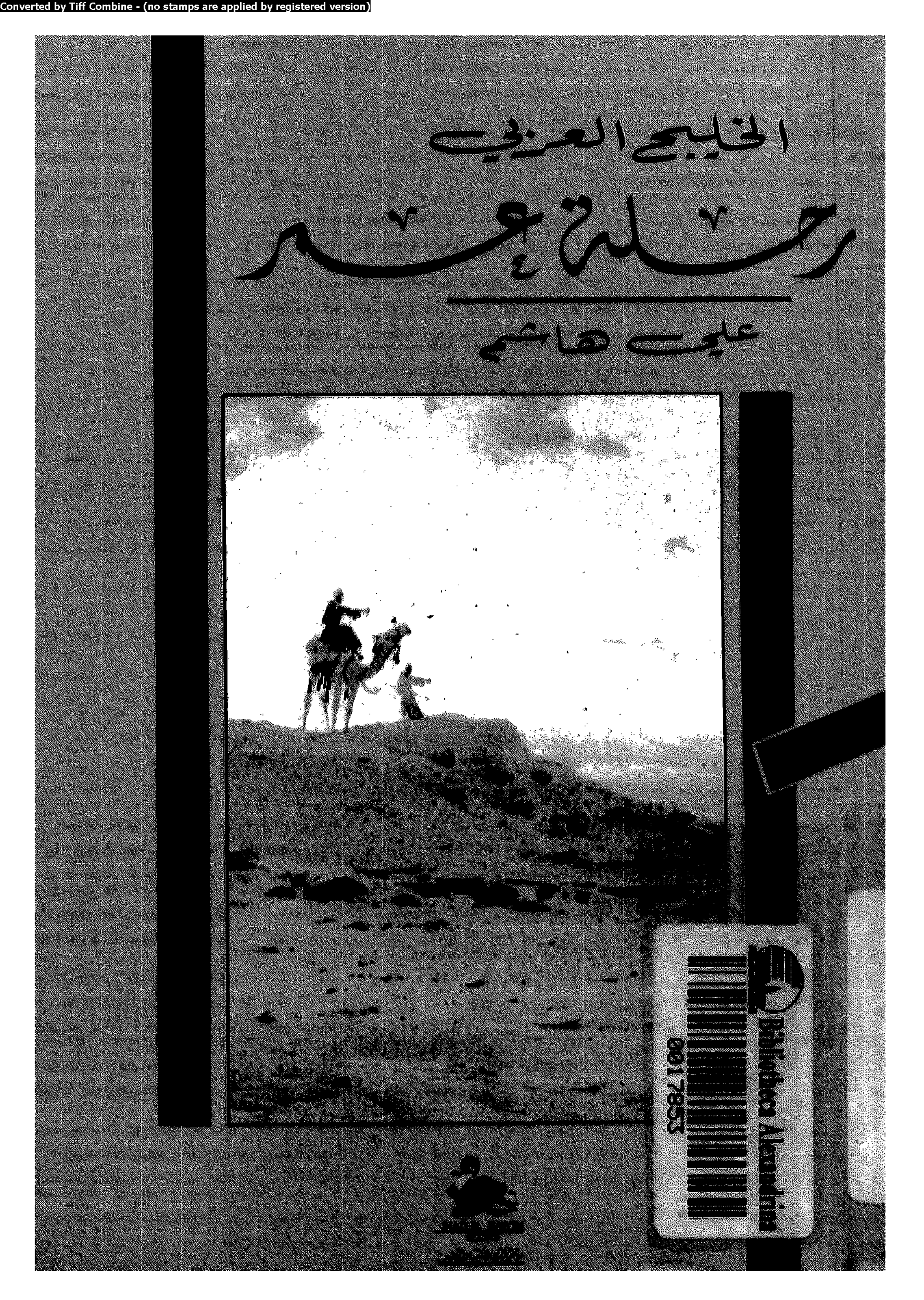

الخليج العربي
رحلة عمر
علي هاشم


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

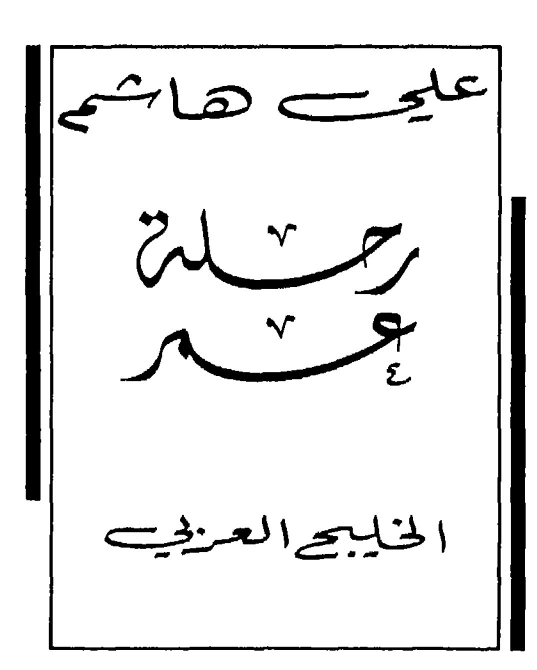


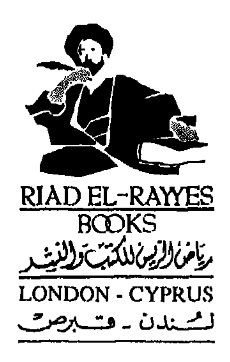


رحلة عمر

الخليج العربي




علي هاشم
رحلة عمر
الخليج العربي


RIAD EL-RAYYES
BOOKS
رياض الريس للكتب والنشر
LONDON - CYPRUS
لندن - قبرص

MY LIFE JOURNEY

BY

ALI HASHEM

First Published in the United Kingdom in 1991

U.K: 56 Knightsbridge
LONDON: SW1X 7NJ
CYPRUS: P.O.Box: 7038 - Limassol

British Library Cataloguing in Publication Data
Hashem, Ali
My Life journey
1.Middle East - Travel
I. Title
915 - 60453
ISBN 1-85513 -029 -7

الطبعة الاولى: ايار/ مايو ١٩٩١

المحتويات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة

هذه ليست مذكرات ولا هي تاريخ، انها مجرد تسجيل لمرحلة حياة، مرحلة عمر امضيته في منطقة الخليج العربي. وان قلت انها «تسجيل»، ففي الحقيقة ما هي الا مجرد تسطير لذكريات تستوعبها الذاكرة وقد تكون فاتتها اشياء واشياء. والخليج العربي الذي عايشته خمساً وعشرين سنة بالضبط، ان لم يكن أكثر، يعتمر قلبي، فله فيه من المودة الكثير الكثير، ولخليجيين كثيرين في القلب اكثر من محبة. مع ان الايام مرت والناس تغيّرت والزمن لا يستقر على حال.

الخليج الذي عرفته في بداية هذه المرحلة تغير كثيراً. اما الخليجيون فلهم قصة اخرى لم يتغيروا فحسب، بل تبدلوا، وتبدلوا كثيراً، واللوم في التبدل والتغيير يعود الى طفرة النفط. هذه الطفرة التي اغرقت المنطقة بالمال والذهب والماس واغرقت النفوس ايضاً، اكثرها ان لم يكن كلها بالغرور والجشع وبعض الرعونة. والاهتمام بتجميع الثروات.. وانفاقها. مع هذه الطفرة ذهبت السماحة والكرم والفروسية البدوية العربية، بل يمكن القول انها ذهبت بالاصالة فقلّ الوفاء، وحل محل ذلك ما يمكن تسميته بـ «العقلية المدنية».

لم يعد الصديق صديقاً، وان بقي فوجهاً لوجه وبالحياء والخجل. إذا اتصلت بصديق قديم بالهاتف فالرد دائماً بواسطة السكرتير او السكرتيرة، غير موجود. وان ارسلت تليكساً، فلا جواب لان تليكسك مصيره سلة المهملات.. وان تنازل الصديق ورد فالجواب هو: ان شاء الله، لكن المشكلة هي انه إذا شاء رب العباد، فإن الصديق نفسه لا يشاء. والجواب الايجابي نتلقاه ممن تسميه «صديقاً» هو عندما يكون

هذا في حاجة اليك او له مصلحة او «بيزنس». وما عدا ذلك لا تحاول، فالصداقة ذوت واندثرت في مهب المصالح والانانيات. مع هذا، في الخليج العربي بقية باقية من اصالة ووفاء. والسبب كله ليس طفرة النفط وحدها، بل نكسة ما بعد الطفرة. ايام العز ولّت. بريق الذهب خف وبهت رنين الفضة ولم يعد له وقع ولا طعم. والنكسة المادية انعكست انعطافاً خطيراً على النفوس، فلم تعد هناك ثقة لا بالناس ولا بالاصدقاء ولا بالمستقبل، مع ان مستقبل الخليج مضمون ومستقبل ابنائه أكثر من مضمون، لكن الهزة النفسية اثرت الى حد زعزعت الثقة بكل شيء.

قد يكون مثل هذا القول مؤلماً ومريراً لكنه الواقع. غير ان ثمة مراجعة لا بد منها. فالظلم لا يقع وحده على الخليجي، فالتاريخ وسيرة الايام والعشرة كانت لها تاثيرات بالغة على طبع الخليجي، وكونت فيها عناصر قد تكون سلبية نسبة الى بعض البسطاء مثلي أو «العاطفيين».

في مسيرة الخليج العربي سنوات مرّة سبقت السنوات الحلوة. كان الخليج نسياً منسياً الى جميع العرب والعالم. ساحل مجهول وصحار تمتد على مد العين والنظر. لا مقومات حياة فيها. لا ماء يشرب ولا نبات يزرع وقلة من المواشي تتنقل بها القبائل هنا وهناك بحثاً عن العشب، واليها هناك البحر الكبير. الخليج الذي يموج بالوان زاهية قل نظيرها في العالم، واسماك يتم صيدها لتامين مسيرة الحياة، ومحار ولآلىء في القاع العميق يتم البحث عنها في رحلتي الشتاء والصيف. ويا لها من معاناة.

الغوص، الغوص، الغوص هو تاريخ الخليج وتاريخ ابنائه. وفي الغوص معاناة ان كانت مؤلمة، كانت ايضاً قاتلة اكثر الاحيان. من مئة رجل يذهبون الى الغوص بحثاً على اللآلىء لحساب تجار كبار و«متعهدين» يعود سبعون رجلاً فقط، فيما تبتلع الاعماق الثلاثين الباقين يذهبون ضحية لقمة العيش.

ضحايا بالمئات ذهبت. وفقر مدقع، لا طعام، لا منازل كما يعرفها عباد الله الآخرون، لا تطبيب، لا دواء، لا مدرسة، لا وسائل نقل الا الجمال. في هذه الانفرادية العبثية المؤلمة كان الخليج يعاني وحده قسوة الطبيعة وقسوة التسلط البريطاني. والعالم كله، بما فيه العرب، عرب الشمال، كما يسميهم الخليجيون، لا يعرفون شيئاً عن الخليج ولا على الخريطة.. تجاهل كلي.

وتدفق الخير اخيراً، فإذا بالعالم كله يستنفر نفسه ويتوجه الى الخليج، وفي المقدمة العرب طبعاً، ابناء العمومة. وكان الهرج والمرج، الخليجي انبهر، والوافد جاء يستغل هذا الانبهار، جاء بحجة «تقديم خدمات». وفي الحقيقة جاء ليغرف من مناجم الذهب الجديدة. وهنا حصلت المفارقات والتضارب.

الخليجي رحب بأبناء العمومة وفتح لهم دياره، لا داره لأنه لم يكن عنده دار. وبدأت ورشة البناء الكبرى. وكانت ورشة كبرى، شقت الطرقات واقامت الابنية والمدارس والمستشفيات، ورافقت كل هذه سرقات واختلاسات وعمليات نصب واحتيال لم يشهد العالم لها مثيلاً. وحار الخليجي، ماذا يفعل؟

وحصل الشرخ وفقدت الثقة. اهتزت نفسية الخليجي، وزاد اهتزازها عندما شارك بعض الوافدين الفاسدين المفسدين في اغراء الخليجي وتوجيهه نحو «الرذالات» التي لم يكن يعرفها. كان مقطوعاً عن العالم، لم يكن يعرف شيئاً ولم يكن رأى شيئاً، ففتحوا عينيه على اغراءات يرضخ لها الشيطان نفسه، فكيف بالخليجي البريء؟

وتوسعت مساحة فقدان الثقة. واهتزت النفسية، وكان شبه انهيار سقطت منه فضائل ومواصفات كانت بريئة منها صفاء الصحراء وصفاء سمائها. سقط الكثير من هذه الشمائل والفضائل. وكان ما كان.

وكل ما سبق من نعوت الصقتها بالخليجي مردها ليست نفسية، بقدر ما هي الضغوط التي تعرضت لها هذه النفسية والانحرافات التي جرها اليها المنحرفون من الوافدين، وهم كثر. مع كل ذلك، تبقى في الخليجي أصالة، لكنها هذه الايام لا تبدو ولا تظهر الا خارج الخليج. فيما هو في الخليج يبقى «ناقزاً» ونافراً ومتحفظاً ومنعزلاً. لقد تعلم دروساً لا ينساها ولن ينساها.

ومن الدروس التي تعلمها ان للمال قيمة.. القيمة هي التعب.. فبعدما كان المال ياتي عفوياً وينفق عفوياً على اللهو، اصبح لهذا المال ثمن هو السعي اليه والبحث عنه بجد، لذلك اصبح الانفاق مدروساً وبتقنين، وقلّ اللهو، لقد اعادت صدمة ما بعد الطفرة للخليجي وعيه.

***

انهـا آراء وليست احكـامـاً قاطعـة، لكنها في الحقيقة آراء بعد تجربة و«عشرة» تمتد الى اكثر من عقدين من الزمن، لكن لكل ذلك استثناءات لا يجب ان يؤخذ الصالح والطالح معاً. وارجو ان تكون «آرائي» صائبة لا تسبب ازعاجاً الا للذين يستحقونه.

سيرة عمر.. هكذا بدات.

علي هاشم

القسم الأول

محطات
ما قبل الدولة

الفصل الاول

رحلة الى المجهول

كان العام ١٩٦٧، وبيروت تعيش اجواء النكبة التي حلا لبعض الصحافيين المصريين ان يسموها نكسة. ومع هذه الاجواء كانت ظلال مشاغبات الناصريين في لبنان تلقي ظلالها على المدينة، أحرقوا الدواليب في الطرقات وحطموا اعمدة الكهرباء انتقاماً من العدوان الاسرائيلي الغادر (حسب اللغة السائدة ايام المد الناصري). في هذه الاجواء تقررت رحلة البعثة الصحافية الاولى من «النهار» الى منطقة الخليج العربي لعمل مسح شامل قبل فتح مكتب «النهار» هناك ليتولى تغطية شؤون المنطقة على الصعيد السياسي. توجهت الى المطار ومنه الى طائرة الشرق الاوسط المتوجهة الى ابو ظبي.

ابو ظبي كان اسماً مجهولاً لنا جميعاً باستثناء بعض المهندسين اللبنانيين وشركات المقاولات وتجار الجملة من فاكهة واغذية وألبسة وما اليها. لم يكن أحد، لا من جيلي ولا من غيره، يعرف شيئاً عن ابو ظبي سوى بعض الاخبار الطريفة عن شيخها يومذاك المرحوم الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان وازاحته عن الحكم وتولي شقيقه الشيخ زايد بن سلطان المشيخة، والذي هو الآن رئيس دولة الامارات العربية المتحدة باني نهضتها ووحدتها.

واستمرت الرحلة أكثر من ثلاث ساعات بقليل. وفوجئنا عند الوصول ان مدارج (أو مدرج) المطار ترابية غير مرصوفة، ومبنى

المطار كوخ خشبي كبير. حطت الطائرة وإذا بالاستقبال صوت لبناني بلهجة جنوبية ينطق به شخص ابيض البشرة عليه سمرة خفيفة من آثار الشمس يرتدي دشداشة بيضاء مهفهفة نظيفة:

ـ اهلا وسهلا امارة ابو ظبي ترحب بكم.

ومن السلام الى الكلام، ثم عرفنا منه انه يدعى مصطفى زين من صور في الجنوب، وخريج الجامعة «الاميركية» في بيروت ويشغل منصب المستشار الاعلامي في الديوان الاميري.

ومصطفى رجل خفيف الظل كان من الرواد في المنطقة، لكنه استعجل الوصول الى الثروة فكانت نهاية علاقاته بها، إذ زور شيكاً باسم الشيخ زايد بمبلغ عشرة ملايين دينار (لم يكن تم اعتماد الدرهم حينها عملة رسمية بعد). واكتشف التزوير مصادفة مدير البنك البريطاني المسحوب عليه الشيك، فاكتشفت العملية واعتقل مصطفى واودع السجن ثم افرج عنه بعد تدخل السيد احمد خليفة السويدي وابعد عن البلاد فسافر الى الولايات المتحدة حيث عمل في حقل النفط. وبعدها دبر عملية اختطاف شقيق السيد مهدي التاجر الملياردير المعروف ومستشار حاكم دبي وسفير دولة الامارات في لندن سابقاً، وتم الافراج عن شقيق التاجر بعد دفع فدية ثلاثة ملايين جنيه استرليني واعتقل مصطفى بسببها في نيويورك واودع السجن ثم افرج عنه ولا يعرف شيء عنه الآن. مصطفى هذا قال لنا بعد الترحيب:

ـ آسف لعدم وجود «الشيوخ».

فسألناه عن «الشيوخ» ومن هم، اجاب:

ـ «الشيوخ» تعني الشيخ الحاكم اي الشيخ الكبير. وهو الآن في رحلة قنص في باكستان.

ـ ماذا تعني: قنص وماذا يقنص؟

ـ قنص يعني صيد، وراح يقنص عقارب.

ـ عقارب؟
ـ نعم عقارب[1].

وابتسم، ومنذ تلك اللحظة عرفت ان مصطفى غير جدي وان اقامته في ابو ظبي لن تطول، وهذا ما حصل. وصّلتني السيارة من المطار الى المدينة التي كانت قرية صغيرة فيها بنايات قليلة لا تتعدى الواحدة منها الطبقتين، والشارع واحد من المطار الى الفندق «البيتش هوتيل»، المجاور للبحر لصاحبه السياسي اللبناني المرحوم اميل البستاني عبر شركة «الكات». وكان الفندق الوحيد وقد هدم الآن وحل مكانه فندق الشيراتون الضخم.
و«البيتش» كان فندقاً وسطاً من طبقتين لكنه جميل و«منمنم»، فيه صالة طعام كبرى جميلة وبار فخم على طراز «البَابْ» الانكليزي وحديقة كبيرة تلامس البحر زرعت فيها الى جانب الاشجار اكواخ عدة خشبية «بانغالو» لإقامة الضيوف، إذ كان الفندق لا يتسع للوفود التي كانت تؤم ابو ظبي. ومما خفف عنا وحشة السفر ووحشة المكان الذي نزوره للمرة الأولى مدير «البيتش» في حينه السيد روبير سعادة، لبناني يعمل الآن في حقل التجارة.

بعد النوم والراحة افقنا في اليوم التالي على صوت مصطفى الذي اصطحبنا لمقابلة المسؤولين عن الاعلام في حينه وكانوا اربعة فقط هم: المرحوم عبد الله الطائي الذي غادر مطلع السبعينات الى مسقط بعد الحركة التصحيحية التي قام بها السلطان قابوس ضد والده المرحوم السلطان سعيد بن تيمور، وتسلم المرحوم عبد الله حينها وزارة العمل، وجوبه بأول اضراب عمالي يشهده الخليج العربي. وبعدها بقليل توفي الطائي وكان رحمه الله لغوياً ومتابعاً للتحركات السياسية ودمثاً، فمات مأسوفاً عليه من الجميع. الى

(١) ورود هذه الكلمة أثار استياء بعض المسؤولين في ابو ظبي. وسبب ذلك كما قال أحدهم هو ان صيد العقارب مهنة للغجر الرحل، ومن المسيء ان ينسب الى الشيوخ.

الطائي كان هناك شخص آخر من آل الغصين (فلسطيني على ما اذكر) وادمون اسطه (لبناني) وصديقنا مصطفى.

وعمل الاعلام الظبياني في حينه كان عملاً «تشريفاتياً» لا اكثر، يسهر على راحة الضيوف الصحافيين وتأمين مقابلاتهم للشيوخ والعدد القليل من المسؤولين الذين كانوا يشكلون الادارة أو الامارة في حينه.

كانت مكاتب الاعلام تحتل طبقة من مبنى من اربع طبقات في منطقة تدعى الخالدية.. وحدها المأهولة في ابو ظبي، فيها فلل عدة بناها المرحوم الشيخ خالد وسميت المنطقة باسمه. اما ابو ظبي الباقية فكانت شبه صحراء وطرقات رملية لا تقارن بالـ «زواريب» التي تعرفها القرى اللبنانية الجبلية، ثم تعارفنا مع الجهاز الاداري الاعلامي ووضعت خطة تنسيق لجولاتنا وعملنا.

لم يكن لدى الاعلام نشر ولا مطبوعات، بل إذاعة بسيطة يشرف عليها ويعمل فيها مذيعون فلسطينيون ومصريون. وكان لا بد ان نقابل المسؤولين الاداريين.

في وسط ابو ظبي الصحراوية كان يقبع بناء مستدير له باب، قيل لنا انه الديوان الاميري. باب خشبي كبير على شكل ابواب قلاع القرون الوسطى. وادخلنا الى غرفة كبيرة عالية السقف فيها ثلاث طاولات خشبية كبيرة حولها كراسٍ خشبية، جلس اليها خمسة أو ستة اشخاص سمر البشرة بدشاديش بيضاء. قيل لنا انهم مسؤولو الديوان، أو (الادارة العليا). كان أولهم طويل القامة نحيفاً ذا لحية صغيرة مدببة، تعرفنا اليه انه احمد خليفة السويدي مدير الديوان، كان خريجاً عاد حديثاً من القاهرة، قمة في الدماثة والاخلاق والتهذيب، مساعده محمد الحبروش السويدي، قصير القامة، لطيف هو ايضاً، لكنه كثير التحفظ، تخرّج من جامعة بغداد، والاثنان من ابو ظبي نفسها من قبيلة يطلق عليها اسم

«السـودان» مع ان وجههما ليس اسود اللون. الثالث الذي كان موجوداً تعرفنا اليه باسم محمد عبد اللطيف، جامعي من البحرين جاء الى ابو ظبي سعياً الى الوظيفة فوجدها في الديوان الاميري. عمل المدير كان بسيطاً، معاملات قليلة ومقابلات.

شربنا الشاي بـ «الاستكانات» واتفقنا على خطة عمل. ولنا عودة الى الاشخاص هؤلاء الذين كبروا وكبرت ادوارهم حتى اصبحوا من اهم شخصيات الدولة ان لم يكن اهمها. وتعددت الزيارات ذلك اليـوم الى بعض المكاتب الموزعة على البنايات القليلة في المدينة ـ القرية. اهم الدوائر يومها كانت دائرتي التخطيط والمالية. التخطيط لأن الشيخ زايد منذ تسلمه الحكم أمر بوضع حجر أسس المدينة وبنـائهـا. وكان التخطيط في حينه، الى جانب بعض المستشارين البـريـطانيـين، بأيدي العراقيين (الدكتور محمود حسن جمعة) والمهندسين المصريين.

بعـد الغـداء والاستـراحـة كانت لنـا جولة فيما كان يسمى بـ «السوق». لتصل الى السوق كنت تمر في «زواريب» رملية. والسوق عبارة عن «خشش» خشبية فيها بضائع عادية، اكياس ملح وأرز وسكر وصابون وعلب بسكوت وأقمشة ذات الوان صارخة وبيضاء. هذه كانت السوق، تشبه الى حد كبير «سوق الملح» في صنعاء ذات مبانٍ صخرية وحجرية.

قبيلة «النهار»

في المساء تعرفنا في الفندق الى الدكتور عز الدين ابـراهيم. ابيض اللون طويل القامة ذو لحية غير كثيفة، كان مثلنا زائراً يحاول التعاقد ليعمل مع الديوان كمستشار لعمل يتعلق بالدين. وهذا ما تحقق، فالدكتور عز الدين هو اليوم مستشـار الشـؤون الاسـلاميـة، يتـولى رعـايـة تقديم الهبات والمسـاعدات الى المجتمعات الاسلامية في افريقيا وبعض انحاء أوروبـا، وقـد ساعـد على بنـاء مسـاجـد عدة ومجمعات ثقافية اسلامية. ومن زوارنا في تلك الرحلة السيد علي محمد الشرفا الذي هو الآن مديـر ديوان رئيس الدولة. وكان الشرفا يتولى مسؤولية ديوان الموظفين. والشرفا من المواطنين المخلصين ذوي الحساسية، كان يشكو من التضـخم الوظيفي وكثرة «المستشارين» وبخاصة بعد انقسام هؤلاء الى معسكرات: معسكر عراقي يصطدم دائماً مع المعسكـر المصري، كل يشـد الحبل نحوه، يحاول اغراق الدولة بمواطنين من بلده، وعلي الشرفا يحاول التوفيق بين هذا الصراع وبـين مصلحـة الامارة الناشئة. وكانت ابو ظبي تمر في حينه في مرحلة ركود مالي، إذ ان الشيخ زايد بعدما تولى السلطة أمر بفتح الورش كلها وبدء عملية تنمية واسعة. وحصل تخبط بسبب بعض المستشـارين وسـوء التنفيذ وحصول عمليات احتيال، مما كلف الامارة كل ما كانت تختزنه من أموال، وانتظرت مرور فترة الركود

وتحسن سوق النفط للاندفاع في اكبر عملية بناء ـ تنمية في الخليج العربي ان لم يكن في العالم.

علي الشرفا كان يعاني من ذلك وبلغت به المعاناة حد الاستقالة، وبعد الانسحاب البريطاني عين سفيراً في الخرطوم لكنه لم يستطب الاقامة هناك فعاد الى ابو ظبي واستمر في الديوان مديراً عاماً الى الآن. ومن الزوار كان السيد ابراهيم الحديدي الذي تولى منصباً إدارياً ثم عين عضواً في المجلس الاستشاري. وابراهيم صلب معارض دائماً حتى انصرف اخيراً الى التجارة مع الابقاء على العلاقات الطيبة مع كل اطراف السلطة. هذه كانت ابو ظبي.

ولا بد من حادثة تروى للتدليل على العقلية السائدة في حينه. زرنا يوماً مكتب الشيخ حمدان بن محمد نائب رئيس الوزراء الاتحادي الآن، وكان يومها مسؤولاً عن دائرة الاشغال، استقبلنا مدير مكتبه المرحوم محمد الحر وكان شخصاً طيباً. وفي اثناء الحديث راح الحر يتحدث عن «الانجازات» الضخمة التي تحققت وكانت عبارة عن شارعين وبضع بنايات. وقلت له ان هذه «الانجازات» حققها العمال والمهندسون والعمال الاجانب. وأخذ الحر على خاطره، إذ كان يصر على انها من انجازات ابوظبي والشيخ حمدان بن محمد بالذات[1]. وكان لا بد حتى لا نتسبب في صدام يفشّل مهمتنا من البداية من ان نوافق الحر على رأيه.

في تلك الزيارة اخذنا الى احدى المدن البعيدة عن ابو ظبي لزيارة مسؤول كبير، وبعد مشقة بالغة وعذاب الطريق وصلنا لنفاجأ بأن المسؤول الكبير عاد فجأة الى ابو ظبي. وقال لي المرافق:

ـ بسيطة استاذ علي، نزور مسؤول المنطقة.

فقلت لا حول ولا.. ودخلت مكتب هذا المسؤول.. صحراوي الوجه

(١) توفي قبل عام وكان نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء.

والقـامـة، لحيـة صغـيرة سوداء مدببة وقف يستقبلنا كأنه عود خيزران شامخ:

ـ هلا.. متى بيتم؟ أي (اهلاً وسهلاً متى جئتم؟).
ـ بينا اس. أي (جئنا الآن).
ـ ايلسوا. أي (اجلسوا).
ـ يلسنا.. أي (جلسنا).

انتهى التـرحيب، وجلس المسـؤول يطالع أوراقـاً مقلوبـة كمـا شاهدتها عن قرب. وبعد نصف ساعة أخذ القلم من يد مساعده و«خرطش» توقيعاً كبيراً. ثم تطلع نحوي وقال:

ـ أش تشرب؟ (ماذا تشرب؟).
ـ قهوة..
وصرخ: قهوة.. وجاء الصدى من بدوي الى آخر الى آخر: قهوة.. قهوة.. قهوة..
وجاءت القهوة على رنين فناجين القهوة العربية.
وانصرف المسؤول الى مطالعة ورقة مقلوبة اخرى تبعها بعد نصف ساعة «خرطشة» توقيع جديد. ومرت ساعتان على هذه الحال. قراءة اوراق مقلوبـة و«خـرطشـات» غير مفهومة لتواقيع لا يعرفها إلا الراسخون في العلم. وتضايقت، وكدت اقوم لولا الحاح المرافق عليّ بالصبر وصبرت. وبعد ساعتين، بل اكثر، تطلع صوبي المسؤول الكبير وقال:
ـ من أي قبيلة؟
واحترت، هل اقول بني هاشم. وقلت لنفسي، لا.. اعطه من بضاعته. وطلعت مني:
ـ من قبيلة النهار.
وفوجئت بالمسؤول يبدي اعجابه قائلاً:
ـ خوش قبيلة.

وصدمت. هل فتح استاذنا غسان تويني قبيلة «النهار» هنا في هذه الصحـراء من دون ان يبلغنـا. وزادت الصـدمة عندما فاجأني المسؤول بالسؤال:

ـ من أي فخذ؟

واحترت، أي فخذ يعني وما معنى السؤال. وقلت في نفسي يا علي امشِ معه.. وقلت بسرعة:

ـ فخذ ميشال أبو جودة.

فرد فوراً:

ـ خوش فخذ.

وفاجأته بلهجة لبنانية بما معناه: وهل شاهد هذا الفخذ، وكان رده مختصراً:

ـ يقولون عنو فخذ زين.

وهنا قررت ان اقطع المقابلة، فوقفت استأذن لكن المسؤول اعترض لأن المقـابلة لم تستـوف اغـراضـها، فادعيت التعب. عندها أمر المرافق بأن يأخذني الى «المضيف» للاستراحة. وتوجهنا الى مبنى صغير من طبقتين، الاولى ذات اسرّة واثاث محطم. فاستأت لكن المرافق صعد بي الى الطبقة الثانية وهناك وجدت أسرّة جيدة ذات فراش وثير ونظيف. استلقيت على احدها فإذا ببدوي يدخل مسرعاً وهو يصرخ:

ـ قم.. قم..

ـ واجاب المرافق:

ـ لويش؟

ـ هاد للدختر.

واستفسرت فإذا بالدختر تعني الدكتور. واستطرد البدوي:

ـ ما تدرون. اكو كوليرا. الدختر يلقح الناس.

واضطربت وصرخت بالمرافق:

ـ اتيت بنا في رحلة شاقة لنسلم على الشيوخ، فإذا بالشيوخ قد

عادوا. ثم اخذتنا الى المسؤول «من أي فخذ» والآن تريد ان تقتلنا بالكوليرا. ولم أنم ليلتها وكانت رحلة من رحلات العمر الطريفة التي لا تنسى.

الفصل الثالث

عصر «الرولكس»[1]

كانت نهاية الستينات بداية عصر جديد في الخليج، هو عصر ما كان يسمى عصر «الرولكس»، اي عصر ساعات الرولكس الذهبية التي اشتهرت بها المنطقة وصارت عنوان التكريم والضيافة والاستقبال والمحبة. ورافقت الرولكس طرائف عدة لا بد ان تروى من قبيل التفكه لا المأخذ.

يوم كنا في ابو ظبي، كان من الزوار المرحوم الزميل هشام ابو ظهر صاحب ومؤسس جريدة «المحرر» اللبنانية، والزميل اديب مروة المحرر يومها في جريدة «الحياة». ولعدم وجود فنادق في حينه، وضع الزميلان ابو ظهر ومروة في غرفة واحدة.

ذات يوم أفاق ابو ظهر صباحاً واحب ان يستفسر من مروة عن الوقت فـ «لكزه» قائلاً:

ـ شو الساعة يا أديب؟

فانزعج أديب وقال بصوت عالٍ:

ـ يا اخي شو هيدا عند الصبح بتسأل عن الساعة، ما بتعرف ان الساعة «رولكس»؟

وقصة ثانية حدثت للأستاذ الكبير المرحوم سعيد فريحة مؤسس دار الصياد.

---

(١) تقديم الساعات هدية للضيوف تقليد عند شيوخ الخليج انتقل منهم الى العراق. ورفض الهدية كانت تعتبر اهانة.

دعي الأستاذ فريحة الى ابو ظبي. وعصر ذات يوم كان يجلس في ردهــة الفندق مع بعض الاصدقاء. وإذا ببدوي يدخل على كتفه بندقية وهو من الـ «فداوية» (أي حرس الشيوخ) دخل الى الفندق ونادى:

ـ مين الأستاذ فريحة (بفتح الفاء وكسر الراء).

فلفت احد الموجودين نظره اليه.

ـ نعم.

وشمّر البدوي عن ساعده، فاعتقد الناس انه لا سمح الله يريد اغتيال الأستاذ فريحة. لكن لا.. إذ تبين ان «الفداوي» المحترم قد طوق ساعـده بساعات رولكس عدة. فك طوق احداها ورمى بها صوب المنادى عليه قائلاً بصوت عالٍ:

ـ هاذي الرولكس لك من الشيوخ. واستدار وخرج..

وهنا انتفض الأستاذ فريحة، رحمه الله، لما اعتبره اهانة ووقف يشتم. واستمرت المحاولات اسبوعاً لتهدئة خاطر الاستاذ الكبير وافهامه انها علامة تكريم خاطر لا اهانة. وصارت الرولكس مثلاً.

وعلى ذكر الساعات لا بد من الاشارة الى الزميل الصديق عبد الله الشيتي الذي يعايش الخليج منذ ثلاثين سنة، وهو صاحب اكبر مجموعة ساعات في المنطقة. ويروي عبد الله انه قابل ذات يوم احد الشيوخ وابتدأ الحديث بينهما طويلاً وقال الشيخ لعبد الله:

ـ تدري عبد الله هاذي أول مرة أقعد مع صحافي ساعة ونصف.

فأجابه عبد الله بسرعة. وقد لمح بيده ساعة كلها ماس وقال:

ـ اترك النص طال عمرك وخلينا بالساعة.

وفهم الشيخ، وفك طوق ساعته وقدمها هدية لعبد الله.

ويـروي عبـد الله قصــة ثانية، قابل ذات يوم شيخاً آخر يحب الحديث والأدب والدين وقال لعبد الله معجباً به:

ـ والله انت محدث لبق يا عبد الله. ايش تعرف من الآيات الكريمة؟

وقال عبد الله ببديهية حاضرة دائماً:
ـ طال عمرك وهل فيه احسن من قوله الكريم: ﴿ان الساعة آتية لا ريب فيها﴾.

وراحت ساعة الشيخ ضحية الى جيب عبد الله. وعند تدفق هذا الكرم تابع عبد الله:
ـ ﴿وادفع بالتي هي أحسن﴾.

ودفع الشيخ.
وعبد الله يملك الآن اكبر مجموعة ساعات يحمل بعضها صور واسماء شيوخ. وهو من اكثر الناس ظرفاً واحسنهم مجلساً. وصار الآن خبيراً بالساعات والمجوهرات. كان عصر الرولكس. وقد ولى الآن بعد تدهور اسعار النفط. ايام لها تاريخ.

ولا بأس من رواية طرفة حدثت للأستاذ غسان تويني صاحب «النهار». دعي تويني في مطلع السبعينات الى الكويت لإلقاء محاضرة.

وفي اليوم التالي لإلقاء المحاضرة طلب مني الأستاذ غسان والزميل رياض نجيب الريس أن أدعو الصحافيين اللبنانيين وبعض المقيمين اللبنانيين الى مأدبة غداء يقيمها على شرفهم في فندق الشيراتون. وكانت مجموعة من عشرين صحافياً تقريباً. وأثناء الغداء دارت أحاديث وطرائف عن الخليج وما يحدث فيه. وأحب تويني أن يداعب عبد الله الشيتي فقال له:

ـ عرفنا يا عبد الله ان عندك مجموعة كبيرة من الساعات هدايا من الشيوخ. وابتسم.

وتطلع عبد الله الى يد تويني وقد لمعت في زنده ساعة ذهبية فقال:

ـ يا أستـاذ غسـان هاي الساعة اللي بإيدك ماركتها كذا.. ومن الشيخ الفلاني..

وتصبب الأستـاذ تويني عرقـاً ومـد يده ففـك الساعة من زنده ووضعها في جيبه.. ومن يومها لم يجرؤ أحد على ذكر ساعات عبد الله وبخاصة إذا كانت معه ساعة هدية.

الفصل الرابع

... وعهد «البسبس»؟

عصر «الرولكس» رافقه عهد طريف آخر، إن لم يكن أكثر طرافة هو عصر «البسبس» أو «السمسونايت».. و«البسبس» هي كلمة تورية مرادفة لمثيلتها في اللغة الانكليزية «البيزنيس». و«السمسونايت» كانت في الستينات وما بعدها في الخليج علامة لرجل الأعمال. حقيبة يد سوداء يحملها الرجل الأنيق: بذلة على آخر طراز، حذاء يلمع وربطة عنق أنيقة والحقيبة اياها تحمل مجموعة من الأوراق والمستندات كانت تسمى «عدة الشغل» أو «عدة النصب» على حد سواء.

وعرف الخليج بعد اشعاع عصر النفط طوابير من نوعية جديدة من الرجال، رجال أعمال حقيقيون ومنافقون ودجالون ومحتالون ونصابون. وهذا النوع من الرجال كان ينسحب على الجميع من بريطانيين وفرنسيين وأميركيين وكنديين وايطاليين وعرب وبخاصة اللبنانيين منهم. وهذا النوع من الرجال جاء الى ابوظبي ودبي وفي رأسه هم واحد: تحقيق الثروة تحت أي ممارسة. منهم من جاء قواداً ومنهم محتالاً ونصاباً ومنهم مهندساً ومحامياً ومدير شركة. وقد أثرى بعضهم بشكل فاحش فأسس شركات وفتح مكاتب وعقد صفقات. ومنهم من أسرع باستغلال «بساطة» الرجل الاماراتي في حينه فنصب عليه أو على الوزارة وحوّل الفلوس الى الخارج ولحق بها في أول طائرة. وكنت إذا صادفت «السمسونايت» في الشارع

أو الطائرة تعرف أن حاملها هو من هذا النوع من البشر فتشير اليه وتقول انه «بسبس مان» اي رجل أعمال. وقد صادفت العديد من هذا الطراز.

يوماً كنت في رحلة الى أبو ظبي. وعلى متن طائرة طيران الشرق الأوسط كنت في حالة استرخاء أفكر في حدث أتصيده لـ «النهار». وإذا بي أفاجأ بجاري «يدفش» بين رجلي حقيبة «سمسونايت» صغيرة، يوقفها فتلتوي لتقع، ثم يعيدها الى ما كانت عليه ويعتذر عن الازعاج. تطلعت صوبه فإذا به كأنه خارج من الحمام، معطر، ببذلة أنيقة، لكن تبين من حركاته أنه جديد على الكار وعلى الأناقة والنعمة.. طلب لي كأساً بعدما طلب لنفسه ثم بدأ حواراً عن الشغل:

● ممكن اعرف الاسم الكريم؟

ـ علي هاشم.

● اللي بتكتب بـ «النهار»؟

ـ نعم.

● يا هلا.. يعني مع الأستاذ غسان تويني؟

ـ نعم..

● الله شو هالصدفة.. حبيبنا الأستاذ غسان. أنا فلان من المزرعة قتلت حالي عشانو بالانتخابات الله يخليه.

ثم تابع:

● دخلك انت بتكتب عن الخليج. بتعرف الجماعة هونيك؟

ـ يعني!

● شو يعني، بتعرفهم ونص انا كمان بعرفهم.

ثم انحنى وتناول «السمسونايت» وفتحها ليتناول منها عدة النصب. أوراق بالانكليزية والفرنسية. ثم قدم لي ملفاً وقال:

● شوف اقرا.

وقرأت أرقاماً لم أفهمها. لكنه تابع:

● شفت. آلاف الأطنان، ملايين من البراميل.
فقلت متجاهلاً:
ـ براميل مي والا ويسكي؟
● اي مي، اي لقطين، نفط. بنزين، بترول يا حبيبي.
فقلت:
ـ شو يعني.
● شو شو يعني. يعني بنشتري. إلك ٣ سنتس عالبرميل.
فقلت له:
ـ هاي شغلة ما بعرفها، ما بفهم فيها، أنا صحافي.
● يا خيي ما تعرف. دلني على واحد صاحبك إلو بيضات والباقي عليّي.
وقلت له:
ـ لكن قلت إنو إلك معارف هونيك.
● طبعاً بعرف الشيخ زايد، بعرف اللي بيقولولو السويدي. بعرف..
ـ بس.. منين بتعرفهم..
● يا صاحبي هولي كانوا ضيوف الرئيس شارل حلو بقصر بعبدا. وأنا بلا مؤاخذة كنت بالحرس الجمهوري. وعالفايت وعالطالع صاحبك بيضرب سلامات للشيخ وزلمتو هيدا السويدي. وهني بيردوا لي السلام. حتى يوم اللي سافروا اهدونا ساعة (رولكس طبعاً) وكم قرش. ومن يومها صرنا صحاب. بس بدك هلق يتعرفوا عليي، بلكي بواسطتك منذكرهم بحالنا.

وسكت وبلعت النكتة. حتى وصلنا الى أبو ظبي وحللنا في فندق البيتش اللبناني. وفلقني الحارس المحترم. كل دقيقة هاتف. يمسك بي إذا دخلت وخرجت، فقررت ان انتهي منه وأن أخدمه حسب طاقتي. وقلت له:
ـ اسمع سآخذك الى صديق لي وزير وأعرّفك عليه ونحكي له القصة وتعمل بما يشير به عليك وأنا لا أريد شيئاً.

مساء اليوم التالي أخذته وتوجهنا الى منزل الصديق محمد الحبروش وكان وزيراً للمال والاقتصاد. كان الحبروش أيامها في عهد العزوبية يستقبل أصدقاءه من كبار موظفي الوزارات والجمارك للعشاء في منزله. ورحب بي الحبروش كالعادة وقدمت اليه صاحبنا فرحب به ودعاه الى المشاركة في السهرة والعشاء. وبعد برهة، دعوت صاحبنا وقلت اني سأقدمه الى الوزير ونشرح له القضية طالباً منه أن لا يتفوه بشيء بل يعمل بما يشير عليه الوزير فوافق، لكن صاحب السلامات عالطالع وعالنازل فقد صبره، فتقدم نحو الحبروش وهو بين العشرات من كبار الموظفين اصدقائه وقال له بصوت عال:

ـ شو يا خالي. هيدا البترول تبعكم شو بتعملوا فيه.

فرد الوزير مستغرباً ومحرجاً:

ـ نبيعه الى من يشتري.

ـ ومين بيبيعوا انتو والله هنِّي.

فسأل الوزير:

ـ من تقصد بـ «هنِّي»؟

ـ ولو. صحابكم، معلمينكم الانكليز.

فاحمر وجه الحبروش وانا اصفر لوني ورحت أوجه اشارات الى صاحبنا ان يصمت، لكن عبثاً، إذ تابع:

ـ إيه ليش ما بتبيعونا نحنا. شو يعني الانكليز بيطلعوا البترول وهني كمان بيبيعوه، وانتوا شو شغلتكم، شو بتعملوا، بتقبضوا بس!

وشرح له الوزير أن ثمة مكاتب لتسويق النفط في العالم تبيع حسب الشروط والمواصفات المتبعة. ثم قال له ان القضية تابعة لوزارة النفط واعطاه اسم شخص يمكنه الاتصال به للاستعلام عن الأمر، لكن صاحبنا لم يقتنع وأخذ يلقي محاضرة في الوطنية والاقتصاد، حتى أنقذت الوزير منه بسحبه من يده الى الخارج ووضعته في

سيارة تاكسي أقلته الى الفندق. ومنذ ذلك اليوم لم أر صاحبنا ولا «السمسونايت» التابعة له. ولن استغرب إذا ما كان صار مليونيراً عن طريق النفط بينما طلعنا نحن بسواد الوجه.

قصة أخرى. ذات يوم قامت الدنيا ولم تقعد في ابوظبي، حينما حل في فندق الهيلتون، وكان الثاني بعد افتتاح فندق العين بالاس، رجل أميركي معه حاشية تضم أكثر من عشرة أشخاص بينهم ثلاث من أجمل نساء العالم، وحجز الأميركي لنفسه الجناح الملكي ولنسائه ثلاثة أجنحة متوسطة وست غرف لبقية المرافقين. وكان الرجل يتصرف وكأنه لورد أو كونت أو ملياردير، يعطي النادل عشرين ديناراً كبخشيش (قبل اصدار الدرهم)، وأمام الفندق سيارة رولس رويس فخمة له شخصياً وسيارة ليموزين كبيرة لنسائه وثلاث سيارات مرسيدس لأفراد الحاشية من الرجال. وكان كل يوم يقيم حفلات غداء يحضرها أثرياء من ابو ظبي وأجانب وفي الليل يحجز الديسكو له ولضيوفه ولحفلات العشاء، وحسناواته يتوزعن في الزوايا والغرف مع هذا أو ذاك، وهو يختلي بضيوفه من الوطنيين يعقد الصفقات ويقبض العمولات حتى صار حديث المدينة. فكل يوم «هيصة» و«بيصة»، ضجيج وعجيج، حفلات عشاء مستمرة وحفلات كوكتيل ورقص حول حوض السباحة والدنيا قائمة وقاعدة والكل «مبسوط»، والحسناوات يضفين أجواء من السحر والدلال واللذة على المدعوين يتبعن أي إشارة بعد همسة وابتسامة، والاميركي بوب مرتاح يغدق البخشيش على موظفي الفندق، ويوقع فواتير الفندق بعشرات ومئات الألوف نفقات الحفلات والضيافة الملوكية.

استمر المهرجان حوالى الشهر، وذات يوم عدت الى الفندق عصراً لافاجأ به هادئاً، والوجوم يخيم على وجوه موظفيه ومديره العام السيد أحمد النحاس (انتقل مديراً عاماً لفندق هيلتون النيل في

القاهرة) يكاد يبكي ويندب حظه. والقصة ان الأميركي بوب توجه فجراً مع حاشيته الى المطار واستقل طائرته الخاصة وهرب، وترك فواتير لم تسدد للفندق بمبلغ يزيد على مليون دينار (حوالى المليوني دولار بحسابات ذلك الزمن).

وتبين ان المستر بوب نصب واحتال بمبالغ تزيد على الثلاثين مليون دولار وفرّ الى جهة مجهولة. والامارات في حينه لم تكن تسمع بالانتربول ولا تعرف أين تلاحق المحتال الذي قد يكون هذه الأيام من أكبر رجال الأعمال والأثرياء في العالم.

وبوب لم يكن وحيد زمانه. فكم من بوب مر من أبو ظبي وأكل خيراتها. وكم من لبناني وعربي هرب بالملايين احتيالاً. واليوم في شارع حمدان في ابو ظبي عشرات، بل مئات من التجار اللبنانيين دخلوا السجون أو حجزت جوازاتهم بسبب عمليات احتيال ونصب. وترى أهلهم في بيروت يقتنون الفلل والشقق والسيارات بالأموال الحرام التي هربها ذووهم النصابون في ابو ظبي. الى جانبهم عشرات من الرجال الجادين الذين بنوا ثروات خيالية بعملهم وكد جبينهم وصدقهم وحسن معاملتهم. «سمسونايت» و«بسبس مان» وأساطير عن ثروات وملايين، وقصص جديدة عن ألف ليلة وليلة جديدة عرفتها الامارات تنتظر من يكتب عنها.

الفصل الخامس

الشيخ الفريد

وكان لا بد ان نزور دبي، الامارة الجارة لأبو ظبي وكانت تسبقها عمراناً وتنمية. وفي دبي تعرفنا الى السيد مهدي التاجر مستشار حاكم دبي الشيخ راشد بن سعيد المكتوم. ومهدي انسان ذكي جداً، جيء به من البحرين موظفاً صغيراً في الجمارك واستطاع بنشاطه ان يبني ثروة ضخمة وان يساهم مساهمة فعالة في بناء دبي وتطورها. ولمهدي اضافة الى بيته القديم في بر دبي، فيللا انيقة في منطقة «الجميرة» على ساحل الخليج، قمة في الاناقة، صالات ومسابح ومجموعات ضخمة من اغلى السجاد في العالم. ومع مهدي (ابو ماهر) زرنا الحاكم الشيخ راشد في مكتبه الزجاجي المطل على «الخور». والشيخ راشد[1] شفاه الله ذكي ونشيط جداً، يستفيق مع الفجر، يصلي ثم يتوجه بسيارته يجول مدينة دبي ويتفقد المشاريع وطريقة تنفيذها. وفي السابعة يكون في مكتبه يستقبل الضيوف واصحاب المعاملات والمراجعين. وهو ديموقراطي لا أبهة ولا مراسم، عفوي يستقبل اياً كان ويستمع اليه ويأمر بإجراء اللازم لكل صاحب شكوى أو مصلحة.

وقد اعجبت بطريقة تصريفه الحكم. وهو لا يحب الاعلام ولا الاعلان ولا «الكلام الفارغ»، كتبت عنه مقالاً في «النهار» قلت فيه

(١) انتقل الشيخ راشد الى رحمة الله العام ١٩٩٠ وقد تولى ولي عهده الشيخ مكتوم الحكم في امارة دبي ورئاسة وزراء دولة الامارات.

ان مكتبه يطل على «الخور» لمراقبة السفن وبخاصة سفن التهريب، تهريب الذهب الى الهند، لأن للامارة دائماً حصة في عمليات التهريب هذه. وقلت انه لا يحب الصحافة ولا الدعاية ولا يدلي بأحاديث صحافية وهو لا يدفع ابداً، وقد انشأ مدينة حديثة ومشاريع ضخمة بالمجان. وجاء بواسطة مستشاره مهدي التاجر بعشرات الشركات العالمية اقامت المباني والمشاريع بالمجان على شكل استثمارات لمدة محدودة، تعود بعدها المشاريع بالكامل الى حكومة دبي من دون ان تدفع فلساً واحداً. وكان كلام كثير في المقال عن هذا وعن نشاط الحاكم وذكائه. وفوجئت بعد يومين بمصادرة «النهار» في دبي واتصلت بالسيد مهدي التاجر اشكو فقال لا عليك.

وبعد فترة ارسل لي سيارته حملتني الى مكتب الحاكم حيث كان مهدي. وشرح ابو ماهر للشيخ راشد قصة المقال والمصادرة. فطلب الحاكم الاتيان بالشيخ حشر المكتوم، وكان يومها مسؤولا عن الاعلان في دبي وقد شغل الشيخ حشر بعدها منصب سفير دولة الامارات في طهران وعاد الآن مسؤولا عن الاعلام في دبي ورئيسا لتحرير جريدة «البيان» الحكومية. وسأل الحاكم الشيخ حشر عن سبب مصادرة «النهار» فأجاب الشيخ حشر وروى تفاصيل ما حواه المقال.

وهنا قال الشيخ راشد:

- ايش يقول. مكتبي عالخور، ها المكتب عالخور، يقول ما أحبّ الصحافة تدري انت انا ما احب الصحافة، يقول ما أدفع. تدري اني ما ادفع. يقول المشاريع بنتها شركات اجنبية ودفعت. هل حنا دفعنا شيّ؟ يللا نزل الجريدة السوق. وخوذ علي بجولة وريه المشاريع.

وهكذا كان. انزلت «النهار» الى السوق وذهبت مع الشيخ حشر

بجولة على مشاريع دبي. ودبي اليوم اهم امارات الخليج العربي، بل هي هونغ كونغ المنطقة.

الشيخ راشد شفاه الله حقق معجزة كبرى واقام امارة تنافس موناكو وهونغ كونغ وبيروت الستينات.

انها قمة في الحضارة. اقامها الشيخ راشد بالمجان ودفع الكثير من صحته ونشاطه شفاه الله. وانجاله الآن الشيوخ مكتوم وحمدان ومحمد واحمد يتابعون المهمة بنشاط. أعجوبة من لا شيء، رأسمالها ذكاء حاكم ونشاطه ونظرته المستقبلية.

ودبي التي تنفتح على نفسها وعلى العالم انفتاحاً كاملاً، تعرف خطورة مثل هذا الانفتاح مستقبلاً، وهي تعي اخطار الحريات الزائدة وبيروت مضرب مثل، لذلك فإن دبي تجعل الحريات متلازمة مع القانون والنظام.

انت في دبي تفعل ما تشاء لكن على شرط ان تقف حرياتك عند حدود حرية المجتمع، وحريات الآخرين، واي تجاوز لذلك يجعلك عرضة للاعتقال والتحقيق والمحاكمة ثم السجن أو الابعاد، لذلك ترى دبي على الرغم من نسبة المقيمين غير المواطنين الكبيرة، تتمتع بأمن قد يكون زائدا عن اللزوم وهي توفر مناخاً جيداً للعمل وللمتعة معاً. وهكذا تنفرد دبي بين امارات الخليج العربي كله بازدحام مستمر. فنادقها لا تجد فيها غرفة خالية. والوافدون عشرات الألوف يومياً. توفر لهم الحكومة المحلية كل ما يلزم، حتى انها اصبحت مركزاً لنشاطات رياضية دولية. وهي الى ذلك مركز نشاط تجاري بالغ.

دبي، عند تسلم الصينيين لهونغ كونغ ستصبح البديل الذي لا يقارن. قد تقول اعجوبة. هي كذلك، لانها انعكاس لعقلية رجل وطراز فريد في الحكم.



الفصل السادس

دورة حسن صعب

قبل قيام دولة الامارات العربية المتحدة بأشهر عدة انصرف المسؤولون الكبار في الامارات السبع، لا سيما امارة ابو ظبي، الى التحضير للحدث السعيد وتأمين كوادر وتهيئتها لتسلم المسؤولية وملء الوظائف التي كان لا بد ان تستحدث في اطار الدولة ومؤسساتها. وكان بعض حكام الامارات يتردد على بيروت في ذلك الحين، بينما كان بعض النافذين يتوجه الى القاهرة أو بغداد لاختيار بعض كبار الموظفين المؤهلين لبناء بنى الدولة الجديدة.

في بيروت وقع نظر احدهم على الدكتور حسن صعب[1] وكان تخرج حديثاً يحمل لقب دكتور ويملأ الدنيا والصحافة عجيجاً ومقالات ومطولات، فدخل في «مخ» احدهم بهدف اختياره لانتقاء كوادر وزارة الخارجية المقبلة، وتوجه الدكتور الى ابو ظبي التي تقرر، حينها، ان تكون العاصمة المؤقتة للدولة. وجيء للدكتور بحوالى عشرين شاباً يافعاً اختيروا من حملة شهادات التوجيهية والثانوية وحشروا وقتها في فندق الستراند، احد اوائل الفنادق التي عرفتها ابو ظبي في الشارع الأول الذي شق فيها حينئذ وهو شارع المطار، واصبح الآن يعرف بشارع المطار القديم الموصل الى شارع الشيخ حمدان. من هؤلاء الشباب كان السيد حمد المدفع الذي كان في أول بعثة

(١) توفي مؤخراً ودفن في بيروت.

لدولة الامارات في واشنطن، ثم رقي الى رتبة سفير في بغداد، وبعدها اختير وزيراً للصحة ولا يزال. ومن رفاقه كان السيد محمد التاجر، الذي أرسل عضواً في بعثة الدولة الى نيويورك مقر الأمم المتحدة حيث انصرف الى العمل سنوات وحضّر لنيل شهادة الدكتوراه في العلاقات الدولية والعلوم السياسية واستقال اخيراً ليقيم في دبي، ومنهم ايضاً السيد غازي التاجر الذي عين في سفارة الامارات في لندن ثم قائماً للاعمال في بروكسل عاصمة بلجيكا واخيراً نقل الى الادارة المركزية في ابو ظبي حيث بقي مدة ثم استقال ليقيم في دبي. ومعهم شبان من امارات الشارقة وعجمان وام القيوين ورأس الخيمة ودبي وابو ظبي. استلم الدكتور صعب هذه الدفعة من الشباب وأخذ يحضّرها للمستقبل بسلسلة من المحاضرات، واستمر التحضير اسبوعين فقط، منح بعدها الدكتور طلابه شهادات ديبلوماسية سميت «الشهادات الصعبية» لم تفد احداً شيئاً، وما افادهم الا احساسهم بالمسؤولية الجديدة وجدهم ونشاطهم.

بعد الاتحاد وقيام الدولة واعتراف العالم بها، قامت وزارة الخارجية في ابنيتها الجديدة قرب مجمع الوزارات وفندق الانتركونتيننتال اللذين لم يكونا بعد. وتسلم احمد خليفة السويدي الوزارة وجهاً مشرقاً للدولة الجديدة، عربياً مسلماً مؤمناً بإسلامه وعروبته أشد الايمان وفياً مخلصاً لبلده واصدقائه. وكانت الوزارة على رغم حجم البلد وحداثتها حركة لا تهدأ. للسويدي جناح خاص يستقبل فيه السفراء الجدد لدى الدولة واصدقاءه الكثر وضيوف الدولة من العالم العربي وخارجه. والسويدي كبير القلب لم يكن للخارجية وحدها، إذ كان كل شيء تقريباً، لا ترد له كلمة، ولا هو يرد طلباً لأحد، المراجعون من المواطنين وغيرهم يتجاهلون الوزراء والوزارات ويلجأون اليه حاملين مطالبهم وهمومهم ومشاكلهم. والسويدي يوجه التعليمات و«يفش خلق» الناس يساعده نفر من المخلصين منهم السيد فواز

القدسي الذي عمل طويلاً حتى تسلم منصب مدير ادارة المراسم ثم استقال وانصرف الى مكتبه للمحاماة يديره، ثم اختفى من ابو ظبي. وكذلك الصديق عبد الرحيم محمود اليد اليمنى للسويدي الذي تسلم لفترة منصب مدير إدارة الموظفين والمال في الوزارة ثم انتقل مع السويدي الى المجمع الثقافي الذي تسلم امانته العامة بعد استقالته من الخارجية لأسباب صحية.

لكن، هل ارتاح السويدي من هموم الناس؟ لا! فالمجمع الثقافي يجدد عهد الخارجية في عزها حيث يقصده اصحاب الحاجات من المواطنين يُصرِّف امورهم السيد عبد الرحيم محمود. ويجب الا ننسى ان من المقربين الى السويدي السيد هشام الكتاب الذي كان ملازماً له، وكذلك عدداً من الاخوة المصريين الذين عملوا في اقسام التشريفات والترجمة.

وللسويدي فضل كبير على عدد من الاخوة العرب الذين تسلموا مناصب عليا أو انصرفوا الى الاعمال الخاصة وبنوا ممالك وثروات فيما بقي السويدي نظيفاً، ثروته محبته للناس ولبلده ومحبة بلده والناس له. والسويدي اليوم هو الممثل الشخصي لرئيس الدولة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. وعلى الرغم من تركه للخارجية لم يعين وزير محله، بل عين الشيخ راشد عبد الله النعيمي وزير دولة للشؤون الخارجية، لحضور المؤتمرات والمشاركة في تخطيط السياسة الخارجية للدولة، لكن السويدي يبقى رجل المهمات الصعبة. ويتسلم الشيخ حمدان بن زايد وكالة الوزارة بحيث صار قلبها النابض ويمارس عمله ليكون له مستقبل دور الوزير العتيد القوي.

السويدي علم من اعلام الخليج العربي حفظه الله لدولة الامارات ولتوجهها العربي والاسلامي السليم. وابقى الصفوة والنخبة من اخوانه اينما كانوا. فهو وهم كانوا بناة الاتحاد وما زالوا صمام الامان فيه. ولا بد من الاشارة الى دور كبير لعبه المرحوم الدكتور

سيف الغباش الذي كان وزير دولة للشؤون الخارجية واغتيل ظلماً وعدواناً فيما، كما قيل في حينه، كان المقصود اغتيال وزير خارجية عربي كان في استقباله في مطار ابو ظبي. وبعد الدكتور سيف برز السيد سعيد الغباش الذي تولى مرة سفارة بيروت ثم السفارة في واشنطن، وانصرف فترة الى الاعمال الخاصة حتى تسلم الصندوق العربي للتنمية واخيراً وزارة الدولة لشؤون المجلس الأعلى.

الخارجية في الامارات اليوم أكثر الوزارات نشاطاً وتنظيماً، على الرغم من فقدها لكفاءات عدة منها السيد محمد مهدي التاجر، السفير السابق في لندن وأوروبا الغربية وسعيد الغباش وحمد المدفع وغيرهم ممن توجهوا الى خدمة الدولة في مجالات اخرى او الى الاعمال الخاصة. وفي الوزارة الآن كفاءات لا يرقى الشك الى كفاءتها واخلاصها.

الفصل السابع

السعودية والسوفيات

قامت دولة الامارات العربية المتحدة. وانتخب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيسا لها، والشيخ راشد بن سعيد المكتوم نائباً للرئيس ورئيساً لمجلس الوزراء. واصبح احمد خليفة السويدي وجه الدولة كونه وزيراً للخارجية. والسويدي وفيٌ لاصدقائه واصحابه، لا يقول لا إلا في تشهده. اصدقاؤه ايام الدراسة في القاهرة لحقوا به اينما كان، فصار يستقدمهم الى ابو ظبي مستشارين في كل الشؤون. حتى امتلأت بهم وزارة الخارجية. وكان الوجه الداخلي ابن عمه محمد حبروش السويدي الذي عين وزيراً للدولة للشؤون المالية والاقتصادية، والحبروش مع وفائه وعاطفته يعرف كيف يكبح جماح العاطفة. فالصداقة عنده شيء والعمل شيء آخر بعكس السويدي الذي يعتبر تلبية رغبات الصديق ومطالبه عنوان الوفاء ومحكاً لها. وصار السويدي مقصد الطالبين والطامعين من دولة الامارات ومن خارجها حتى تعب وانهك صحته، فترك الخارجية ليبقى ممثلاً شخصياً لرئيس الدولة محترماً من الجميع، محبوباً من الجميع مواطنين ووافدين، ويبقى المضياف الوفي الأمين للدولة ولمواطنيها وضيوفها. والسويدي عفوي وقومي عربي متحمس يحمل في جنبيه تطلعات ووهجاً لامجاد بلده الذي يريد له المكان اللائق به تحت الشمس.

ذات يوم وفي بداية الاستقلال كانت دولة الامارات تسعى الى لعب دور ونفوذ يتعدى حجم الدور المكتوب لها. في هذه البداية وردت برقية من احدى دول اوروبا الشرقية الشيوعية تطلب السماح بإرسال وفد اقتصادي، والوفود الاقتصادية الشيوعية كانت يومها من «فبركات» موسكو تريدها طليعة لعمليات تجسس وعملية اختبار لإمكان اثبات الوجود ولو عن طريق تبادل التمثيل الديبلوماسي.

في البداية كان للمملكة العربية السعودية مكتب مركزه دبي ويتولى أمره المرحوم الديبلوماسي عبد الله الفضل، وكنت يومها في دبي وزرت المرحوم عبد الله الفضل الذي اصبح فيما بعد سفيراً في البحرين، ونقلت اليه ما سمعته عن توقع زيارة الوفد الشيوعي الشرقي لابو ظبي ودولة الامارات وامكان تبادل التمثيل بين دولة الامارات ودول اوروبا الشرقية. وقال لي المرحوم الشيخ عبد الله:
ـ أكتب نقلاً عني. ان السعودية ستقطع يد كل من يوقع وثائق تبادل التمثيل مع السوفيات والشيوعيين في المنطقة.

ونشرت التصريح في «النهار» وكان له وقع القنبلة في المنطقة. استدعاني السويدي بعد يومين وعاتبني قائلاً:

ـ ولو يا اخ علي، شو عملنا لك.

فأجبته:

ـ يا أبا محمد وهل نقلت غير الواقع، الشيخ عبد الله علم بقضية مجيء الوفد الشيوعي وصرح كديبلوماسي لدولة كبرى في المنطقة، فماذا أنتم فاعلون.

وأجاب:

ـ وماذا نفعل غير ان نلغي زيارة الوفد الشيوعي. ونطوي صفحة التقارب مع السوفيات.

وهكذا كان.

ألغيت دعوة الوفد. وتأجل تبادل التمثيل مع السوفيات حوالى خمس عشرة سنة. ولم يتم بمبادرة من دولة الامارات بل تقليداً وتتبعاً لخطوات اكثر دول المنطقة محافظة وتحفظاً على الشيوعية التي هي سلطنة عمان، والتي لها تاريخ دموي مع الشيوعية وتجربة مرَّة عرفتها ثورة ظفار التي كانت بدعم شيوعي بدءاً من موسكو، الى بكين فبود ابست وبوخارست وفرصوفيا وغيرها. ولم يحدث التطبيع بين هذه العواصم ومسقط الا بعد الطلاق بين بكين وموسكو وتراجع الاولى عن دعم ثورة ظفار ثم القضاء عليها نهائياً أواسط عام ١٩٧٥، وتخلي موسكو تدريجياً عن دعم الحركات الثورية والاحزاب اليسارية في المنطقة مما تسبب في موت هذه. واخيراً جاء غورباتشوف وتخلى عن الشيوعية الدولية وبدأ ثورته الاصلاحية.

وكانت الخطوة العمانية الجريئة بتبادل التمثيل مع بكين كمرحلة اولى، ثم مع موسكو، ولحقت بها دولة الامارات وقطر بعدما كانت سبقتها الكويت بعشرات السنين.

الفصل الثامن

ايران والخليج العربي

لايران مع دولة الامارات العربية المتحدة اكثر من قصة. من قضية احتلال الجزر الى تأخير الاعتراف بها.. إضافة الى قصص اخرى. وتشاء المصادفات ان يتحمل السيد احمد خليفة السويدي النتائج السلبية لهذه القصص بصدره.

في العيد الوطني الاول، أي الذكرى الاولى لقيام الاتحاد، نظم عرض عسكري، هو الاول من نوعه في ابو ظبي، في منطقة الكورنيش، اقيمت له مدرجات خشبية ودعي لحضوره السفراء ومندوبون وكبار رجالات الدولة. وكانت للعرض بهجته ورنته، إذ تم فيه عرض بعض المدرعات والصواريخ الصغيرة. واستعين يومها بمذيع له صوت جهوري ومعروف بلغته العربية السليمة وباندفاعه القوي. كان السيد علي ياسين الذي أخذ صوته يلعلع بالتحدث عن الاسلحة التي يشملها العرض. وباندفاعه القوي راح علي ياسين يتحدث عن الخليج العربي وهذه الاسلحة المخصصة للدفاع عنه وعن عروبته.

وفجأة قامت ضجة في الصف الاول حيث شوهد شخص من كبار المدعوين يقف ويخرج من ساحة العرض نافراً ووراءه عدد من رجالات الدولة يلحقون به ويلحون عليه بالعودة.. لكن عبثاً. وتبين

بعد ذلك ان النافر الثائر لم يكن سوى السفير الايراني الذي انسحب محتجاً على ترداد المذيع كلمة الخليج العربي.

لقد سيطر جو من الوجوم على ساحة العرض الذي استمر كأن شيئاً لم يكن، لكن مع بعض الارتباك. لم ينته الحادث عند هذا الحد. فقد صعّد السفير الايراني الموقف، بحيث انه رفض حضور مأدبة العشاء التي اقامها رئيس الدولة الشيخ زايد لكبار المدعوين والسفراء في قصر المنهل.

وقامت ضجة في ابو ظبي يومها وكثرت الشائعات والتكهنات عن تصرفات السفير الايراني وعن الموقف الذي يمكن ان تتخذه حكومة طهران. كما كثر القيل والقال عن مصير المذيع علي ياسين.

نشرت الخبر في حينه مع تفصيلاته في «النهار» وتضاعفت بعدها الضجة. وكان عتاب من السويدي لانه كان يتمنى «لفلفة» الموضوع لا تضخيمه. وكانت القضية فعلاً امتحاناً لوطنية السويدي الذي لم يعتذر لايران، كما طلب منه، بل اصر على موقفه قائلاً لمراجعيه ان الخليج عربي لا فارسي كما تقول ايران. وانه يعتز بعروبته وبعروبة الخليج. وتأكيداً لذلك تمسك ببقاء علي ياسين في الاذاعة داعماً له، وقد استمر علي بعمله الى سنوات قليلة ماضية حيث استقال وانصرف الى الاعمال الحرة في البورصة والاسهم.

وكانت إيران تتصلب ازاء تسمية الخليج. حتى انها كانت ترفض كل رسالة موجهة الى احدى دول الخليج كتبت عليها جملة «الخليج العربي» وكذلك البرقيات. وقد وقعت دول الخليج في ورطة عندما قررت انشاء وكالة لانباء الخليج. وقد عقد وزراء إعلام دول الخليج اجتماعات عدة لمناقشة التسمية، وكان وزير الاعلام العراقي يومها السيد طارق عزيز يصر على اسم «وكالة أنباء الخليج العربي». ثم بعد مشاورات مطولة واستشارات تقررت التسمية «وكالة انباء الخليج» من دون كلمة عربي او فارسي منعاً لاحراج ايران وتفادياً

لازمة كان يمكن ان تتسبب في سحب إيران لسفرائها من دول المنطقة.

وبعد الثورة الاسلامية في إيران بقيت قضية تسمية الخليج تثير الشؤون والشجون على الرغم من الحل الذي عرضه آية الله الراحل الخميني وهو حل وسطي كان يقضي بالقول «الخليج الاسلامي». لكن إيران لم تستعمل هذه التسمية اطلاقاً في تعاملاتها مع دول الخليج. وعلى الرغم من كل الضغوط بقيت دولة الامارات صامدة متمسكة بعروبتها، لم تنس جزرها. وهي تنتظر توقيع اتفاق السلام بين العراق وايران لتجدد مطالبتها باستعادة هذه الجزر. وان كان احمد خليفة السويدي ترك وزارة الخارجية ولم يعد مسؤولا مباشراً عن هذه القضايا، الا انه يبقى جزءاً مهماً من النظام وركناً من اركان الدولة له الرأي المسموع. ولا بد ان يأتي اليوم الذي يحقق فيه السويدي آماله وطموحاته بأن يكون للدولة، التي كانت له مساهمات كثيرة في قيامها، مستقبل كبير ومؤثر.

وتحقيق آمال السويدي هي تحقيق لطموحات دولة الامارات والعرب اجمالاً، وهذه الطموحات التي يرعاها رئيس الدولة واخوانه اعضاء المجلس الأعلى.



الفصل التاسع

البحرين في الامارات

الخليج العربي مجتمع متكامل وتحس ان اهله أسرة واحدة وعشيرة واحدة. بينهم تزاوج وقرابة نسب والمفاهيم والاعراف والتقاليد كلها واحدة. وهم يحاولون ان يكمل البعض منهم البعض الآخر. لذلك لا تستغرب ان ترى احد ابناء سلطنة عمان وقد عاش عقوداً من حياته في الكويت أو في دولة الامارات أو قطر أو البحرين. كما ان رجالاً من الامارات عاشوا في قطر فترة من شبابهم.

يقودنا هذا الى التحدث عن مجموعة من رجال البحرين توجهوا الى الامارات وتسلموا فيها مناصب حتى بلغوا مسؤوليات كبيرة. وابن البحرين في الامارات لا يحس انه غريب او عنصر غير مقبول. وكذلك كان ابن الامارات في قطر. ففي فترة من الزمن أقام في قطر جيل من خيرة شباب ورجالات الامارات وبخاصة من شباب ابو ظبي لظروف لا مجال لذكرها وحتى لا نثير حساسيات (بحسب مفهوم دائرة المراقبة في وزارة الاعلام الاتحادية في ابو ظبي).

في قطر نشأ السادة: احمد خليفة السويدي، محمد الحبروش السويدي، مانع سعيد العتيبة. الشيخ راشد عبد الله النعيمي، والشيخ احمد بن حامد، وبعضهم تعلم في قطر أو درس في جامعات بغداد والقاهرة ودمشق وبيروت على حساب دولة قطر. وبعضهم على الرغم من المناصب الكبيرة التي وصل اليها - وكلهم وزراء

ومسؤولون كبار - على الرغم من ذلك لا يزال الحنين يشده الى قطر وبعض رجالاتها حيث امضوا معهم فترة الشباب والمعاناة.

نعود الى شباب البحرين في الامارات حيث وفد منهم الى ابو ظبي في الستينات (أواخرها) عدد كبير. كان منهم هناك في تلك المرحلة السادة: عبد الملك الحمر، عبد الرحيم محمود، محمد عبد اللطيف، حسن وحمد الصباح، والدكتور علي حميدان. انصرف بعضهم في تلك المرحلة الى مهنة التدريس. السيد الحمر مثلاً وصل بجده ونشاطه الى منصب وكيل وزارة التربية. وعند انشاء المصرف المركزي للدولة اختير حاكماً له، وهو الآن من انجح حكام المصارف المركزية في المنطقة. وقد جنب دولة الامارات ونقدها خضات كثيرة بسبب الظروف والتقلبات الاقتصادية. محمد عبد اللطيف تسلم في البداية مسؤولية العمل في الديوان الاميري مع السيدين احمد خليفة ومحمد الحبروش، وبعد اعلان الدولة وانشاء وزارة الخارجية عين سفيراً، وشاء حظه، أو ارادته لا ادري، ان يقيم دائماً سفيراً في شرق آسيا من اسلام آباد الى الهند. حتى وصل به المقام اخيراً الى التقاعد، وقد التقيته اخيراً في مكتب الوزير محمد الحبروش في جهاز استثمارات ابو ظبي. فما عرفني وما عرفته وقد غيّرت الايام ملامح كل منا، وقد جاء من البحرين حيث عاد الى قواعده في ابو ظبي يسلم على الاخوان والاصدقاء.

السيدان الصباح، احدهما حسن تسلم في البداية منصباً في وزارة الخارجية وكان مثال الموظف النشيط، وبعد فترة استقال وعاد الى البحرين حيث انصرف الى الاعمال الحرة. أما حمد فقد تسلم جمارك ابو ظبي ونظمها وادارها بدراية وحكمة حتى وصلت الى ما هي عليه اليوم ووصل هو الى سن التقاعد.

ومن شباب البحرين في الامارات الدكتور علي حميدان الذي حصل على شهادة الدكتوراه وهو يعمل في ابو ظبي، وقد انضم الى جهاز

الخارجية حتى تسلم يوماً رئاسة بعثة دولة الامارات في الأمم المتحدة، ثم عاد الى ابو ظبي وتسلم الاشراف على تنظيم المحاضرات التي كانت تقيمها وزارة الخارجية وتدعو اليها كبار الساسة والديبلوماسيين من اجانب وعرب. وكان اخيراً سفيراً في دمشق حتى تقاعد واقام في ابو ظبي. لازم عبد الرحيم محمود السيد احمد خليفة السويدي في الخارجية وهو يلازمه الآن في المجمع الثقافي. وعبد الرحيم حركة لا تهدأ. وهو مفتاح الوصول الى السويدي وكاتم اسراره.

ويبقى من رجالات البحرين السيد احمد العبيدلي، وهو جاء موظفاً من شركة «بي.بي» في قطر حيث كان موظفاً الى امارة ابو ظبي، وقد احاط الغموض حينها مهمات العبيدلي والادوار والمتغيرات التي حصلت في الستينات في المنطقة. وبعد تولي سمو الشيخ زايد مسؤوليات الحكم كان العبيدلي من المقربين، ثم فجأة عهد اليه بتحمل مسؤولية مكتب ابو ظبي في لندن الذي تحول بعد الاتحاد والاستقلال الى سفارة. وكانت صدمة للعبيدلي حينما تسلم مسؤولية السفارة السيد محمد مهدي التاجر. وبدأ العبيدلي من حينها عملية «المناكفة» وساءت علاقاته بأكثر موظفي السفارة حتى ابتعد عنها. يقيم في منطقة «روتلاند» في لندن، لكنه بقي يحمل رتبة مستشار في السفارة من دون ان يمارس عمله.

وغموض العبيدلي انعكس على سلوكه، فلا يمكن ان يعرف احد هل هو صديق أم عدو. مع ذلك استمر حتى بقي الآن يحمل مفاتيح كثيرة لمناصب ليست في الواجهة، لكنه بقي هو هو لا تعرف له حرفاً من طرف ولا حقيقة من عدمها. غامض ونفسية غير منفتحة وصداقة غير ثابتة، وعداء كامن ربما لا يظهر على السطح لكنه مخبؤ تحت ركام من ابتسامات لا تعرف أهي ابتسامات رضا أم مغص في المعدة التي يشكو منها دائماً. هذا هو العبيدلي غير

المجمـوعة الطيبة من المنشأ نفسـه. لذلك ترى العبيدلي وحده لا تعرف من هو صديقه فقد يغيب عن الصديق لمدة طويلة من دون سبب. هدانـا وهـداه الله. ولا بأس من ايـراد اسم شخص من البحرين، طيب واصيل، وان لم يصل الى منصب معروف هو السيد علي المنصور، أول موظف في دائرة العلاقات العامة في وزارة الاعلام (بطاقته الوظيفية في الدولة تحمل الرقم (٣)). وما زال علي موظفاً في العلاقات العامة كما كان من عقدين من الزمن. له مع كل صحافي زار الدولة علاقات وصداقات. فهو يبتسم دائماً، يرحب دائماً، هذا قدره.

تحية الى البحرين ورسلها في ابو ظبي، وتحية الى ابو ظبي التي فتحت صدرها لكل العرب ووسع هذا الصدر كل واحد بحسناته وسيئاته إن كانت للبعض سيئات.

الفصل العاشر

الأسطورة:
مهدي التاجر

الكلام عن البحرانيين في الامارات، يجر بطبيعة الحال الى الكلام عن بحراني جاء عادياً من البحرين وكبر الى حد لم تعد تسعه الامارات كلها، فانتشر في العالم كأحد الأثرياء الكبار ورجال الأعمال.

محمد مهدي التاجر جاء في الستينات من البحرين شاباً عادياً، أتى به البريطانيون بالاعارة الى مشيخة دبي موظفاً في الجمارك. له خبرة عادية في شؤون الجمارك وأرسل لمدة في دورة لتعلّم اللغة الانكليزية ومع هذا فهو يتمتع بذكاء حاد. وشاء حسن حظ مهدي ان كان على رأس دبي حاكم ذكي أيضاً وعملي هو الشيخ راشد بن سعيد المكتوم. والتقى الرجلان وتوافقا فاتفقا. مهدي يطرح الأفكار والشيخ راشد يستوعبها ويعطيها صفة شرعية الحكم ومن هناك الى التنفيذ.

كانت دبي كغيرها من المشيخات، فقيرة لا نفط فيها ولا من ينفطون. لكنها تتمتع بموقع استراتيجي مهم. فيها الخور الجميل يقسمها نصفين، وقربها من إيران ومن الهند.

الى إيران بدأت عملية المتاجرة بكل شيء. الممنوع منها وغير الممنوع. والى الهند بدأت عمليات تهريب الذهب.. الى الغوص والبحث عن المحار واللؤلؤ. وأهل دبي، وشيخهم بالذات أصحاب

عقلية نيرة وعملية يبحثون عن التطوير ويسبقونه. حتى أنهم سبقوا الزمن في كل شيء. يلهفون الجديد الآتي من الغرب يستوعبونه ويبنونه فيصبح جديدهم. فجأة قامت الشوارع الكبيرة الواسعة والانفاق والجسور تحت الخور وفوقه. وارتفعت البنايات الضخمة والقصور وبينها المصارف والفنادق والملاهي والبارات. لم تتحول دبي الى مستعمرة غربية، بل صارت ببنيتها جامعة للشرق والمغرب. حتى قال مسؤول كبير: من يريد البحث عن الجنة، فهناك مساجد كثيرة، ومن يريد التوجه الى جهنم، فهذه البارات حاضرة، وسئل عن الاخلاق ومكارمها والتهتك فقال: أي تهتك. عندنا مئات الألوف من الشباب العزاب الغرباء، أليست عندهم ولهم حاجات طبيعية، أين يقضونها؟ هل نفتح لهم بيوتنا؟ لهم نساء على طرازهم، فلهم ولهن جهنم وبئس المصير، وحتى وقت قصير كان في أبو ظبي ودبي سوقان للنساء والغلمان يدعيان «سكة الخيل» وقد اقفلا اخيراً. لكن استمرت الدعارة الفارهة في الشقق والفنادق الفخمة وبنات الجنس من كل لون وجنس. من أقصى الهند حتى آخر السويد. أسمر على أشقر على أحمر. كل الألوان والأذواق والنكهة والطعم.

وهكذا نشأت دبي، حرية كاملة، أنت حر تفعل ما تشاء لكن ضمن شروط الذوق العام والآداب وعلى الا تصطدم بحريات الآخرين وبالقوانين.

وترسخت البنية الأساسية لدبي، صلبة متينة وبدأت المشاريع، مهدي التاجر يفتش في العالم على شركات تتولى التنفيذ بالمقايضة، أو بالبناء والاستثمار لمدة معينة تعود بعدها الملكية للمشيخة. هكذا قام ميناء راشد الكبير يحتوي على عشرات الأحواض، وهكذا قام مطار دبي الدولي، ومن ثم الحوض الجاف والمصانع الكبيرة من الاسمنت الى الألمنيوم والصلب وغيرها. وأخيراً مشروع جبل علي في المنطقة الصناعية الحرة التي تستعد لوراثة هونغ كونغ بعد

عودتها الى الصيـن الأم. وفاوض مهدي التاجر عشرات الشركات للتنقيب عن النفط ونجحت احداها وكانت لمهدي نسبة مئوية معينة من الانتاج.

وقـرر الانكليـز الانسحاب من المنطقة وكان القرار بإقامة اتحاد خليجي. وفشل الاتحاد التساعي ورسا على سبع إمارات هي: ابو ظبي، دبي، الشارقة، عجمان، ام القيوين، رأس الخيمة والفجيرة.

وللتـاريخ: رجلان أسسا الاتحاد السباعي وباتفاقهما قام هما: الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والشيخ راشد بن سعيد المكتوم، واتفـاقهما وراءه رجلان هما: أحمد خليفة السويدي (ابو ظبي) ومحمد مهدي التاجر (دبي)، فلولا السويدي والتاجر لما اتفق زايد وراشد فهما كانا العرابين للاتحاد وما زالا سند دولة الامارات. وبسبب ذلك وبعـد قيـام الدولة تولى السويدي وزارة الخارجية والتاجر سفـارة الامارات في اوروبـا الغربيـة كلها مقـره لندن. السويدي معروف بعروبته واخلاصـه وسماحتـه وهو مشحـون بالعـاطفـة والوفـاء. أما مهدي فتتغير خصاله وتتبدل. انه محب وصديق، لكن على طريقته. رجل أعمال يزن كل شيء بميزان، عاطفته يجيرها للدين والمذهب. ولو كلاماً، ويتحدث كثيراً عن فعل الخير والتبـرع لهذا المشروع وذاك، لكن عندما تفتش وتسأل ترى أن الكلام سبق الفعل بأشواط.

ومهدي صار مليارديراً. كتبت «الفايننشال تايمس» يوماً انه يملك خمسة مليارات جنيه استرليني سألته فأجاب: جائز، بل أكثر، وفي الحقيقة لا أعرف كم!

وكان الى وقت يعيش عادياً، مقعد في طائرة عادية. تصرف عادي، ثم جاء عصر الارهـاب والخـطف وفرض الفدية، عندما خطف أخوه صادق في لندن اضطر الى دفع ثلاثة ملايين جنيه فدية (قيل ان شيوخ دبي دفعوها) بعدها صار مهدي (يحب اسم ابو ماهر) رجلاً

آخـر. طائـرات خاصــة. قصــور في باريس ولندن وجنيف وكان والولايات المتحدة وغيرها وغيرها. ولم يعد يخرج الا قليلاً وبحراسة مشددة. ولا يستقبل الا بموعد خاص، وينصرف الى اعماله الكثيرة من مصارف واستثمارات وشركات نفط. وكان ذات يوم يملك ويحصر في نفسه حوالى ٩٠ في المئة من وكالات دبي التجارية ثم تخلى عنها أخيراً بعد مرض الحاكم الشيخ راشد.

ومهــدي ليس بخيــلاً ولا هو كريم، يحصر كرمــه في ما يسميـه «المستحق» أي يدفع لكن عندما يطمئن الى أن ما دفعه سيذهب فعلاً للخير والمصلحة العامة. وله قصص عدة في هذا الشأن، منها أنه دفع تكاليف طبع آلاف الكتب التي يقول انها مفيدة. كما انه دفع منحاً لتعليم المئات من الشباب العرب. ومرة قال لي سماحة الامام المغيب السيد موسى الصدر بعـدما دعـاه مهدي الى دبي لالقاء محاضرة وكرّمه أبلغ تكريم ـ قال لي:

ـ صاحبك يا سيد علي وعد بدفع تبرع للمجلس الشيعي الأعلى ولم يدفع بعد.

وبمـراجعـة مهـدي قال انه سيقوم بالواجب. ومنذ فترة التقيت سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين في لندن، فشكا الشكوى نفسها، واتصلنا بمهدي في لندن فقيل انه في دبي. وفي دبي التقيته ونقلت اليه رسالة سماحة الشيخ شمس الدين، وكان الجواب انه سيفعل والاكيد ان الوعد ما زال وعداً.

ومهدي هاوي قصور وتحف. أراني مرة في قصره في الجميرة ـ دبي أكبر مستودع للسجاد، بينـها سجادات هـي الأثمن في العالم وقال ان الشاه السابق لم يكن يملك مثلها. وعنده في قصوره في بريطانيا أغلى التحف الأثرية وأثمنها وأقدمها. أحدها تعرض للسرقة قبل سنتين وبلغت قيمة المسروق عشرة ملايين جنيه. وأحدها احترق قبل مدة وقدرت الخسائر بخمسين مليون جنيه. ومهدي لم يهتم

بمبلغ الخمسين مليوناً لأن شركة التأمين تعوضها، لكنه أسف لقيمة التحف الأثرية التي يقول انها لا تقدر بمليار جنيه. ومن القصور التي اشتراها مهدي قصر نشأت فيه الملكة اليزابيت الثانية. بعد تجديده دفع له أحد الشيوخ ٣٠٠ مليون جنيه فرفض بيعه. وعندما قلت له كيف تترك مثل هذا الربح، قال انت لا تفهم في هذا، فغداً يدفع ٥٠٠ مليون وهكذا كان.

وله الى جانب قصور انكلترا قصور في فرنسا قرب فرساي وغيرها.. ومع ذلك تراه يركض وراء العمل والربح. قلت له مرة: هل تستطيع ان ترتدي بدلتين دفعة واحدة. أو تركب طائرتين أو سيارتين مرة واحدة، وهل تستطيع ان تأكل وحدك عن عشرة أشخاص، قال لا. قلت ولماذا الركض وراء الفلوس، قال: صارت عادة ومهنة وهواية.

صار مهدي في شبه عزلة، صداقاته محدودة ومتواضعة، من أصدقائه وندمائه كاظم خفاجي (عراقي) اصبح الآن رجل اعمال، وخليل صايغ (دبي)، صار وكيل اعمال الشيخ حمدان بن راشد وصاحب محلات للمجوهرات ومهدي يحب النكتة. لا يدخن ولا يشرب ولا يركض وراء النساء. تزوج مرة ثانية من مضيفة للطيران ثم طلقها، وبقي مع زوجته البحرانية أم أولاده، لا يحب العجيج ولا الفخفخة ولا الدعاية ولا الضجيج.

طُلِب مني مرة ان اكتب عن سيرته وعدة مقابلات معه لأحدى المؤسسات. رفض حينها وقال:

- عندما يحين الوقت، ستكون أنت الوحيد الذي يكتب عني.

يحب التفاخر احياناً ومنها يقول انه السفير الوحيد الذي كان يمتطي الخيل مع الملكة اليزابيت الثانية. الآن ينصرف الى الاستثمارات في إيران، شارك أخيراً في انشاء منطقة حرة في جزيرة ايرانية في الخليج وساهم بمبلغ مليار و٥٠٠ مليون دولار.

أصدر مرة مجلة أسبوعية باللغة الانكليزية في لندن. وبعد خسائر بالملايين أقفلها. قيل انه كان شريكاً في مجلة «الحوادث» اللبنانية لأنه كان صديقاً للمرحوم سليم اللوزي الذي كان يزوره اسبوعياً في دبي مع مصطفى العقاد مخرج فيلم «الرسالة»، الذي جاء له مهدي بموافقة السيد موسى الصدر على انتاجه من الناحية الدينية والتاريخية.

تردد انه عرض يوماً شراء صحيفة «التايمس» البريطانية عندما مرّت بأزمة، لكنه لم يتمكن بسبب القوانين البريطانية التي تمنع الأجانب من شراء مؤسسات هي بمثابة «الرمز» للبريطانيين.

وطني، لكن على مزاجه. في حرب تشرين الأول/ اكتوبر نقل شيكاً بملايين الدولارات.مع طائرةبوبينغ من دولة الامارات الى سوريا، وهو صديق لكبار المسؤولين السوريين وقد توسط لعقد القمة الأخيرة بين الرئيسين حافظ الأسد وأمين الجميل الذي كان وكيله وكان يشغل مكتباً في بنايته في محلة الكليمنصو في بيروت.

نعود الى سفارة مهدي في غرب أوروبا، كان حينها أهم السفراء العرب في أوروبا لأنه يمثل دولة غنية جداً، ولأنه غني جداً ورجل أعمال يتعامل معه رجال الأعمال الأوروبيون الكبار وتهتم به شركاتهم ومؤسساتهم الكبرى. كان أهم السفراء لكنه ظل يخلط بين العمل الدبلوماسي و«البيزنيس» مما أوقعه في ورطات عدة، وجعل بعض الصحف يحمل عليه لجهة تهربه من دفع الضرائب وعائدات الجمارك متستراً بصفته الدبلوماسية. ولأن السفارة في لندن، خصوصاً، كانت مقصد شيوخ الامارات وشعبها، توسعت السفارة وأخذ مهدي يخصص وقته لمجالسة الشيوخ ضيوف لندن وباريس وغيرهما ولانشغاله الدائم، أخذ يتكل على معاونيه في السفارة لإنجاز الأعمال، ومن هؤلاء المعاونين كان أحمد العبيدلي وقصته معروفة. ونبيل حجازي الفلسطيني الأصل، الذي تعاون مدة ثم

انفصل ليكون رجل أعمال. وميرزا حسين الصايغ، الذي ترك بعد قضية صفقة السلاح «الدبيانية» التي حولت الى إيران، مع أن لا علاقة له بها، وهو اليوم اليد اليمنى للشيخ حمدان بن راشد وزير المال والصناعة، وكان غازي التاجر الذي نقل الى بروكسل، والسيد علي مبارك المنصوري الذي هو الآن السفير في باريس. والسيد محمد يوسف (نقل الى اليمن)، وضاحي لوتا (نقل الى دبي) وعلي المبارك (نقل الى الجزائر). ومن أقدم الموظفين في السفارة اثنان يداومان منذ عشرين عاماً تقريباً هما: عزيز ميرزا أمين الذي وصل الى رتبة مستشار منذ زمن ويرفض تسلم مسؤولية سفير لأنه لا يريد أن يترك لندن لاسباب مزاجية وعائلية، ولأن عدداً من الشيوخ لا يريدونه أن يغادر لندن أياً تكن الأسباب، وعزيز لولب السفارة يعرف دخائلها كلها، ويتكل عليه في كل شيء وبخاصة عند غياب السفير. فهو يوقع التأشيرات والمعاملات التجارية ويمثل السفارة في المفاوضات الرسمية وحفلات قصر باكنغهام، انه الأوحد إذا جاز التعبير. معه السيد عبد الباري الهاشمي الذي يتولى مهمة التشريفات. فهو مُستقبل الشيوخ ومودعهم وراعي أمورهم، تعرف أخبارهم وتنقلاتهم منه وحده. مع الثنائي عزيز وعبد الباري هناك الدكتور جمعة بلال رئيس المكتب الصحي، الذي أشرف على تطبيب أهالي الامارات كلهم تقريباً في هارلي ستريت.

مهدي التاجر لم تكن السفارة تعني له شيئاً، مسؤولية يرفضها رغم الغطاء المعنوي الذي تمنحه إياه. وبعد مرض الشيخ راشد، هبطت معنويات مهدي فلم يعد الأوحد ولا صاحب الكلمة المسموعة الوحيدة، شعر بالاحباط فكان قراره بالانسحاب والاستقالة. جمدت استقالته مدة ثم قبلت بعدما كان قد تخلى عن سفارات باريس وروما وبون وبروكسل وغيرها.

انه الأسطورة الذي وعدنا بأن نكتب قصة حياته الخيالية وما زلنا ننتظر، فهل يفي بالوعد وهل تسمح لنا وله الأيام بذلك.. علّ وعسى.



الفصل الحادي عشر

الشارقة... الواحة

الكلام عن دولة الامارات العربية المتحدة، لا بد أن يجر إلى الكلام عن احدى هذه الامارات: الشارقة.

الشارقة في المفهوم الخليجي إمارة فقيرة؛ أي انها ليست غنية وهي في الوقت نفسه نفطية ولا نفطية. فيها نفط، لكن بكميات متواضعة، لا تغنيها، لكن لا تضعها على حافة الفقر المدقع والحاجة والعوز. ومشكلة الشارقة ان طموحاتها أكبر منها، وبالأخص طموحات حاكمها الدكتور الشيخ سلطان بن محمد القاسمي. فهو يريد أن يجعل منها لؤلؤة خليجية بكل ما في الكلمة من معنى. ساحات وأنفاق وشوارع وبنايات وبحيرات وقاعات للمحاضرات ومسارح ومجمعات. حلمه ان لا تكون مدينة ضخمة فقط، بل يريدها مدينة للعلم ومركز حضارة، يريدها دمشق الأمويين وبغداد العباسيين وقاهرة المعز. آمال كبار وطموحات عالية وأحلام تغوص في أعماق التاريخ، يريدها ان تصير واقعاً حاضراً ومستقبلاً. كل ذلك والحال من المحال، وما في اليد لا يكفي ليكون في أمرة طموحات الروح والقلب. ومشكلة الشارقة أن لها خلفية تاريخية ـ حضارية. فالشارقة على الرغم من كونها إمارة صغيرة مرمية على ساحل الخليج ومطلة على صحرائه، كان لها من أبنائها ثروة هي كالنفط الذي حرمت منه بالكميات الكبيرة.

الشارقة قبل الاستقلال وقيام الدولة الاتحادية، ويوم كان الساحل

المتصالح تحت رحمة بريطانيا العظمى، ويوم كان الساحل يغوص في خضم معارك ما سمي «حرب القراصنة».
في تلك الظروف المأساوية والحروب العبثية، كان أبناء الشارقة يتطلعون الى الخليج والى ما وراءه. وحدهم في المنطقة كان يشدهم الى العروبة هاجس كبير. ووحدهم يوم لم يكن الاعلام المرئي والمسموع قد برز في العالم، كانوا يتحينون الفرص لاصطياد الصحف العربية من أي بلد كان، من بيروت، من دمشق، من بغداد ومن القاهرة. كانوا يقرأون ويشتركون بكل مجلة أو صحيفة تطبع بالعربية تأتي متأخرة شهراً، بل أشهراً، عن طريق الهند، عن طريق البحر، عن أي طريق بحري تصل منه باخرة تحمل لهم صحيفة أو ديواناً أو كتاباً. وهكذا كان أهل الشارقة على ترابط مستمر بالعالم العربي وبالتطورات فيه، من سياسية وثقافية واجتماعية وأدبية. وغرست هذه القراءات والمتابعات بذوراً عميقة طلعت منها مع الأيام، وعميقة في الجذور، نبتات وأشجار كبيرة وشامخة، وصرت تسمع في الشارقة شعراً وتقرأ مقالات وتحليلات، كانت ترسل عبر رسائل وبالبريد البطيء الى الصحف العربية في الخارج، أو تلقى وتُتداول، داخل الشارقة، في مجالس وندوات أدبية. ومع الأيام، أعطت هذه الخميرة، خبزها، وتحولت الشارقة الى شبه منتدى فكري للمنطقة. وبعد سنوات الانفتاح، توزع شباب الشارقة على مدارس وجامعات فكان منهم خريجون.

والشارقة، للعلم، هي أول إمارة حاولت ان تعطي للمنطقة صحيفة حقيقية. كان الاستعمار ما زال قائماً. ففكر الشابان تريم وعبد الله، ابنا عمران تريم بإصدار صحيفة سمياها «الخليج»، لتكون الصوت الناطق باسم المنطقة، صوتاً وطنياً يعبر عن أحاسيس الشعب في الخليج وطموحاته. ولعدم توافر الامكانات المادية، من مطابع ووسائل طباعة وتنفيذ وتحضير، قررا اصدار «الخليج» في الكويت، لتكون صحيفة شارقية لا كويتية تنطق باسم إمارات

الساحل المتصالح. واتفق «التريميان» مع شاب مصري، كان وصل حديثاً، عنده خلفيات سياسية وطنية ودراية ولو مبدئية بشؤون الصحافة وترتيبها. هو السيد محمد محفوظ، فوضع لـ «الخليج» نموذجاً جديداً لاخراجها تميزت به... وهكذا صدرت «الخليج» بداية بمزيج من حس ناصري، بعدما كانت رياح الناصرية تهب خارج مصر، ممزوجة بغلاف اسلامي يعتمد شفافية دعوة الاخوان المسلمين.

صارت «الخليج» تصدر في الكويت تباع فيها، وتصدّر، ولو تهريباً، الى الشارقة وإمارات الساحل المتصالح. وصارت «الخليج» شبه قاعدة تستقطب شباب الامارات، وكبرت شلة الأخوين تريم وصارت مع الوقت صحيفة كبري في المنطقة، وهي الأولى، تعتمد الليبيرالية والقومية العربية ومبادىء التحرر الوطني، وكان أن اختير تريم عمران تريم رئيساً للمجلس الاتحادي الوطني (البرلمان) في دولة الامارات العربية المتحدة بعد قيامها. ولعب ادواراً مهمة في وضع بعض القوانين. كما اختير شقيقه عبد الله وزيراً للتربية فساعد على نشر التعليم، وبعد استقالته انصرف الى العلم حتى حاز درجة دكتوراه في التاريخ ووضع أطروحة قيّمة عن قيام دولة الامارات. ومن الشلة صار خلفان الرومي وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية، وحمد المدفع سفيراً ثم وزيراً للصحة. وكان في الشارقة شعراء كثيرون منهم جاسم المدفع والعويس الذي يقيم الآن في دبي، والذي وضع جائزة باسمه يقدمها اتحاد كتاب دولة الامارات تعطى سنوياً لاصحاب أعمال جليلة في الشعر والفكر والأدب والفلسفة.

وفي الشارقة ندوات مستمرة للفكر والتاريخ ومسرح قومي وروابط للشعر والأدب، ويقام فيها سنوياً أهم معارض للكتاب العربي في الخليج اجمالاً. لها وجه حضاري تعبت وتعب ابناؤها حتى تم

تكوينه، ويزيد في لمعان هذا الوجه كون حاكمها الشيخ سلطان بن محمد القاسمي أحد أبرز الحكام المثقفين والوحيد في المنطقة الذي يحمل شهادة دكتوراه وله مؤلفات عن تاريخ المنطقة، منها واحد عن القواسم (أجداده)، وآخر عن تقسيم الأمبراطورية العُمانية.

لن نتحدث عن السياسة في الشارقة، عن الايجابيات والسلبيات فيها فهذه مررنا عليها في فصل سابق، لكن لا بد للذكريات عن منطقة الخليج من أن تعطي الشارقة حقها لدورها الحضاري والثقافي.

الفصل الثاني عشر

الديوان العامر..

قبل اختتام هذا الملف عن دولة الامارات العربية المتحدة لا بد من اعطاء لمحة ولو سريعة عن ديوان رئيس الدولة وعن وزارة الاعلام كونهما وجهي الدولة المطلين على الخارج، الى وزارة الخارجية طبعاً.

الديوان ويسمونه رسمياً «ديوان سمو رئيس الدولة»، فيما هو في دول الخليج الأخرى «الديوان الأميري»، لسبب هو أن الشيخ زايد لم يعط نفسه لقب أمير كسائر الشيوخ حكام الخليج. الديوان الاماراتي القديم راح زمنه، يوم كان يتحمل مسؤوليته السادة أحمد خليفة السويدي، محمد الحبروش السويدي ومحمد عبد اللطيف. كان يحتل القصر الأبيض القديم على شكل قلعة، وكان مقراً للحاكم الراحل الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان واستخدم مكاتب للديوان بعد تسلم الشيخ زايد مسؤولية الحكم. وكلمة «مكاتب» تخجل من هذه التسمية، لأنها كانت غرفاً واسعة وباردة يملأها الغبار وتحتلها مكاتب خشبية عادية وكراسٍ خيزرانية، تدخل اليها وتقابل من فيها من دون مواعيد ولا بروتوكول.

هذا العهد ولى. القصر الأبيض أو الديوان أدخلت عليه تحسينات وترميمات وحول الى مركز للوثائق، فأصبح من الداخل كأنه مكتبة لجامعة عريقة. فيه وثائق عن كل ما يتعلق بالخليج وتاريخه، وبخاصة المرحلة البرتغالية، ويشرف عليه اختصاصي هو الدكتور

محمد مرسي عبد الله، رعاه وجمع وثائقه ونسقها فأصبح من أهم المراكز للمراجع عن المنطقة.

ونقل الديوان الى قصر المنهل تحت إدارة السيد علي الشرفا الذي كان قد ترك الخارجية كسفير في السودان، والسيد داود سكسك وهما من الأشخاص الذين طوروا العمل الاداري، وكانا من أحسن الناس صلة بالحاكم وبالمواطنين وأصحاب الحاجات والمصالح والمراجعين، يتمتعان بأخلاق رفيعة وحب للخدمة العامة وحدب على المواطنين. ثم نقل الديوان الى مبنى جديد في مقابل قصر المنهل، وحل الشيخ سرور بن محمد آل نهيان رئيساً له، والسيد علي الشرفا مديراً، والسيد داود سكسك مديراً لمكتب الشيخ سرور يقوم بأكثر من عمل. وكان أن حط الديوان أخيراً في القصر الجديد الذي بني في منطقة اللسان الأخضر. قصر منيف حديث تنبع من داخله الأصالة العربية يزوره أحياناً رئيس الدولة، ويجري فيه رئيس الوزراء بعض المقابلات، وفيه مكاتب فخمة جداً للشيخ سرور وللسيدين الشرفا وسكسك وعدد كبير من مستشاري رئيس الدولة.

والدخول الى الديوان لم يعد كما كان على المزاج، إذ أقيم في المدخل مكتب للاستعلامات، على الزائر أن يقدم بطاقة تثبت هويته، فيدرج اسمه ومهنته وجنسيته في دفتر خاص مع اسم الشخص المنوي زيارته، والتاريخ وساعة المقابلة حتى الدقائق، ثم يجرى اتصال بالشخص المطلوبة زيارته، فإذا وافق أعطي الضيف بطاقة رسمية يعلقها على صدره عليها كلمة «زائر» ويسمح له بالدخول. وعند انتهاء الزيارة يرد البطاقة الى المكتب ويسترد هويته أو جوازه. قصة معقدة، لكنها ضرورية، كما يقولون، لحفظ النظام والأمن. ومع كل التعقيدات تجد في الداخل الترحاب والاستقبال الحسن والضيافة والاستماع وانهاء ما جاء الضيف لأجله بالتي هي أحسن. ويزور الديوان يومياً عدد كبير من المواطنين والمقيمين

والضيوف، ويتميز العمل في داخله بالمرونة والسرعة للبعد عن روتين الدوائر الرسمية وقيود البيروقراطية.

ومن شخصيات الديوان الدكتور عدنان الباجهجي وهو مستشار لرئيس الدولة وكان وزيراً سابقاً في العراق، وهو في ابو ظبي يحمل رتبة وزير ويشارك في جلسات المجلس التنفيذي الذي هو بمثابة حكومة لإمارة ابو ظبي فقط. وكذلك السيد عبد المجيد القيسي المستشار القانوني، وهو أطول المستشارين لساناً وألذعهم وصاحب نكتة وصريح الى حد التهور، لا يأبه لشيء ولا يخاف أحداً، يحبه الجميع لظرفه على الرغم من قرصاته. كذلك السيد زكي نسيبة الذي كان سابقاً في وزارة الإعلام وانتقل الى الديوان مستشاراً إعلامياً ومترجماً خاصاً للشيخ زايد، وكثيرون غيرهم ولا سيما السيد خميس بطي الرميثي الذي كان سفيراً في فيينا وباريس وأصبح مديراً لمكتب رئيس الدولة، والديوان يقوم مقام وزارات عدة ويؤدي خدماتها وييسِّر مصالح الناس من دون أبهة على الرغم من أبهته وصيته وصلاحياته.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث عشر

الوزارة التي لا تتقدم[1]

والكلام عن الوزارات والمؤسسات في دولة الامارات يجر حتماً الى الكلام عن وزارة مهمة هي وزارة الاعلام والثقافة.

والوزارة لها تاريخ هو من تاريخ الدولة، بدأت في أواخر الستينات بمبنى صغير في محلة الكورنيش من أربعة أو خمسة موظفين فلسطينيين ولبنانيين بينهم خليجي واحد هو المرحوم عبدالله الطائي، الذي شغل بعد ذلك منصب وزير في سلطنة عُمان، وأسس أول جريدة هناك هي «الوطن» بعد تولي السلطان قابوس مسؤولية الحكم خلفاً لوالده المرحوم سعيد بن تيمور آل بو سعيد. دائرة الاعلام الاماراتية كانت في بدايتها «تشريفاتية» لاستقبال الوفود الصحافية ووضع برامج لها، ثم تولى مسؤوليتها بعد ذلك صحافي مصري توفي قبل مدة. وبمرور الأيام ونمو الدولة وبداية قيام المؤسسات، خصص مبنى خاص للوزارة على طريق المطار وعلى مقربة من دوّار وزارة الدفاع حيث كانت تقوم مباني قيادة القوات المسلحة.

وحقنت الوزارة بدماء جديدة فالتحق بها الصحافي المصري المعروف مصطفى الشردي (كان نائباً عن حزب الوفد ورئيساً لتحرير جريدته توفي قبل سنتين)، والصحافي المصري أيضاً وجيه

---

(١) صدر الكتاب قبل التغيير الوزاري الأخير وتغيير الوزير والوكيل.

أبـو ذكـري (ألف أخـيراً أهم كتـاب عن حرب ١٩٦٧ سمـاه «مذبحة ١٩٦٧»)، والسيد زكي نسيبة، هو الآن مستشار اعلامي في ديـوان رئيس الدولة والمترجم الخاص للشيخ زايد، يرافقه في رحـلاته الى البلدان الأوروبية والأميركية، والسيد حسن السمرا (مصري) الذي سُلم مكتب العـلاقـات العـامـة (توفي قبل أربع سنوات). وتسلم الوزارة الشيخ أحمد بن حامد من القبيسات، وهم عشائر متفرعة من بني ياس الذين يتزعمهم آل نهيان، والقبيسات كانوا اختلفوا مع بني ياس فهجروا ابو ظبي الى خور العديد على حدود قطر، وأقاموا لهم مستعمرات هناك ولم يعودوا الى ابو ظبي الا بعدما تم الصلح بين العشائر، ووكالة الوزارة تسلمها الشيخ راشد عبد الله النعيمي من عجمان الذي شب في قطر ودرس فيها ثم أتم دراسته الجامعية في الخارج حيث تخصص في شؤون النفط.

كانت الدولة ناشطة تلك الأيام: تنمية وإعماراً ومشاريع بالملايين ومئات الملايين من الدولارات، والوفود الاعلامية تتوافد بالعشرات يومياً حتى أصبحت وزارة الاعلام أهم وزارة تربط الدولة الجديدة بالعالم، ثم طرأت فكرة إصدار صحيفة خاصة بالدولة. فكانت فكرة إصـدار صحيفة «الاتحاد» وتولى مسؤولية ذلك اللبناني السيد إسحق منصـور، فيما تولى السيد مصطفى الشردي كتابة مقال يومي في الصفحة الأخيرة. وشاء الوكيل السيد راشد عبد الله ان يدلو بدلوه، فكتب سلسلة من ٥٣ مقالاً تحت عنوان «فلسفة زايد»، تحدث فيها عن نظرة الشيخ زايد للأمور والأحداث القديمة والجديدة.

وكان لهذه المقالات تأثيرها الايجابي، فبعد اغتيال المرحوم سيف الغباش وزير الدولة للشؤون الخارجية خطأ في مطار أبو ظبي ـ إذ المقصـود بالاغتيـال كان أحـد وزراء الخارجية العرب في احدى زياراته الرسمية للدولة ـ بعد هذا الاغتيال، نقل السيد النعيمي من الاعـلام الى وزارة الخـارجية حيث عين وزير دولة للشؤون الخارجية. أيامها كان السيد عبد الله النويس بعدما تخرج حديثاً

من جامعة القاهرة، يتولى إدارة الشؤون الصحافية والثقافية بعد نقل السيد زكي نسيبة منها. وكان عند النويس عشق للتلفزيون والاذاعة، فسلم الاشراف على هاتين المؤسستين، فصرف جهده كله، ليلاً نهاراً، لترتيب أمورهما ووضع البرامج وشرائها من الخارج، من مصر خصوصاً، أو انتاجها محلياً ببطولات مصرية وعربية، تساعده في ذلك الموازنة الضخمة التي كانت في تصرفه. وتمت الاستعانة بالسيد علي شمو (من السودان) وكيلاً للوزارة، وقد تسلم وزارة الاعلام السودانية مرتين في عهد جعفر النميري ثم عمر البشير قائد الانقلاب الأخير. وكان شمو مثالاً للاداري، ضبط الوزارة الفضفاضة ورتب أمورها وحسن علاقاتها بالصحافة العربية والاجنبية. ثم انتهت مدة إعارة شمو الى ابو ظبي، فجيء بالسيد النويس وكيلاً للوزارة.

والنويس طموح يحب اثبات وجوده في كل مجال، فظل مع وكالة الوزارة يسيطر على التلفزيون والاذاعة ويربط بنفسه شؤون الوزارة، بحيث صارت المركزية صارمة وصارت مسؤوليات كل المديرين في الوزارة شبه معدومة أو مجمدة. حتى أن النويس تطلع الى جريدة «الاتحاد» حتى اقتنع المسؤولون الكبار بضرورة تولية النويس أمورها، فصدر مرسوم بتعيينه مديراً عاماً ورئيساً للتحرير. وهنا اختل ميزان الوزارة، إذ ان مسؤولية صحيفة يومية ليست سهلة ولا هينة. وقد اضطر النويس الى متابعة الدوام في «الاتحاد» بعد ظهر كل يوم، واستمر النويس يجالد ويداوم في الوزارة ساعة أو ساعتين ظهر كل يوم، وعشر ساعات ان لم يكن أكثر في «الاتحاد»، وكان لا بد من اتخاذ ترتيبات لإيجاد توازن في عمل الوزارة وأقسامها، فصدرت مراسيم بتعيين وكلاء مساعدين، فكان عبد الله أمان (دبي) وكيلاً مساعداً لشؤون الصحافة، وعبد العزيز المدفع وكيلاً مساعداً لشؤون الرقابة، والذي جعل همه جزر الاعلام العربي والأجنبي. فكل شيء عنده ممنوع، ان وردت في

كتاب من خمسمائة صفحة كلمة واحدة لم يستوعبها أو لم تعجب خاطره اقترح على الوزير منع الكتاب. وإذا ظهرت صورة اعتبرها غير مناسبة في صحيفة أو مجلة اقترح المصادرة والمنع، حتى صار هم الوزارة اعداد قرارات اسبوعية بالجملة بالمنع والمصادرة، وأبقيت أمكنة اسماء المطبوعات أو الكتب غير المرغوب فيها فارغة لتعبأ أسبوعياً حسب اقتراحات الوكيل المساعد. أما السيد أمان فهو مثقف وخلوق ومتعاون، لكن صلاحياته موقوفة تصطدم بإدارة الوكيل العام.

وجيء بالسيد يحيى السيد (دبي) مديراً لادارة العلاقات العامة، وكل صلاحياته هي أن يبتسم للضيف ويأمر بالقهوة أو الشاي، لكن كل الصلاحيات ممدودة خيوطها الى فوق. واستمرت الحال على ما هي عليه، وكثرت الشائعات بين تعديلات وزارية وتنقلات في المناصب، لكن ثبت ان كلها شائعات حتى استقر الأمر أخيراً، فالشيخ أحمد بن حامد اصرّ على ان يتمسك بصلاحياته كاملة كوزير، وأن يتحمل كل مسؤول صلاحياته حسب القوانين والمنصوص عليه من دون مركزية طاغية ومن دون تجاوزات.

والاعلام على الرغم من الفوضى في إدارته إلا أنه حقق انجازات لا تنكر. ففي اغلب الامارات إذاعات ومحطات تلفزيون تتمتع باستقلالية الأخبار وبالأخص الرسمية منها والتي تتعلق بالدولة وأخبار الداخل.

وزارة الاعلام في الامارات تحتاج وحدها الى كتاب خاص لكثرة اخبارها وتحركاتها وما جرى ويجري فيها، والذي يمنع هو «الخبز والملح» معها ومع المسؤولين فيها وكلهم أصدقاء، وكذلك قلم الوكيل المساعد لشؤون الرقابة ـ أو الأصح «المصادرة والمنع» ـ السيد عبد العزيز المدفع. وكل شيء في دولة الامارات تقدم إلا جهاز وزارة الاعلام وقف محله وما زال واقفاً...

القسم الثاني

محطات
ما بعد الدولة

مــدخــل

في تاريخ دولة الامارات العربية المتحدة محطات ثلاث، يمكن اعتبـارها تاريخية، بل هي أحداث بَصَمت هذا التـاريـخ، منهـا ما كان محــطة انطلاق، ومنها ما زال يترك آثاره. هذه المحطات الثلاث هي بالتسلسل: قيام الدولة وما رافق ذلك من أخذ ورد ومحــادثات واجتماعات، وكان ان تركزت الدولة وقامت ونسي الناس ما كان، لكن التاريخ لا ينسى.

المحطة الثانية هي احتلال الجزر الثلاث: ابو موسى (الشارقة)، الطمب الكبرى والطمب الصغرى (راس الخيمة)، وهذا الحدث رافق الاستقلال او سبقه بساعات وتداخل فيه بحيث كان احتلال الجزر عائقاً لفترة لقيام الدولة، بل اخـر انضمـام راس الخيمـة اليــه. والحدث الثالث مرتبط بالحدث الثاني، بل قد يكون نتج عنه لأن الاتفاق بين إيران والشارقة حول جزيرة ابو موسى اتخذ حجة لاغتيال حاكم الشارقة في حينه المرحوم الشيخ خالد بن محمد القاسمي.

ويومها رافقت هذه المرحلة واحداثها يوماً بيوم، بل ساعة بساعة، وأعيد نشر ما كتبته في حينه للذكرى والتذكير، وقد كتبت ما كتبت كما هو في الواقــع، اي دون ان يمر ما كتبت بمصفاة التاريخ. على أمل أن يتسع صدر من بقوا احياء منذ تلك الفترة وشاركوا فيها والا يأخذوا في ما أعيد نشره الآن على محمـل الاساءة، بل القصد هو التاريخ. وذكّر، قد تنفع الذكرى. ونامل كذلك في أن يتسع صدر المراقبة في دولة الامارات لما ننشر لان ما سبق نشره وزع وقرىء في حينه من دون ان يلاقي تعنتاً ولا صدوداً.

ويلاحظ من سياق نشر الفصول الآتية انها شبه متداخلة بعضها ببعض لتداخل الأحداث والمحطات الثلاث التي يمكن اعتبارها محطة واحدة ويلاحظ منها كأن التاريخ يعيد نفسه، وكأن ما حدث قبل عشرين سنة يحدث الآن، ولتداخل الأحداث، وضعت التحقيقات حسب تواريخ نشرها وورودها. والله من وراء القصد.

امارات للبيع[1]

بعد مخاض استمر ٣ سنوات قام اتحاد في الخليج العربي من ٦ امارات. وبعد البيان الذي تلاه وزير الدولة لشؤون الرئاسة في ابو ظبي السيد خليفة السويدي، أصبحت البحرين في حل من أمرها وقد تعلن استقلالها خلال أيام لتلحق بها قطر بعد ٢٤ ساعة، وتبقى رأس الخيمة احدى امارات الساحل المتصالح غارقة في عزلتها بين مطرقة التهديد الايراني باحتلال جزيرتي طمب الكبرى وطمب الصغرى، وسندان الاتحاد السداسي الجديد الذي سيوقف عنها المساعدات، مما يحملها على التوجه الى السعودية أو عُمان للبحث عن مخرج. وكان مؤتمر حكام الساحل بدأ السبت ١٧ تموز/ يوليو في دبي في شكل اجتماع «مجلس التطوير» السنوي. ومن الصدف ان رئيس تلك الدورة كان الشيخ صقر القاسمي حاكم رأس الخيمة الذي خرج على الاجماع في ختام الجلسات.

المؤتمر مهدت له مشاورات وزيارات تبادلها وزير الدولة في ابو ظبي السيد احمد السويدي، ومستشار حاكم دبي السيد مهدي التاجر. وعندما تم التفاهم على الأسس كان المؤتمر، الذي قدر له أن يستمر يومين، لكن الخلافات الجانبية مددته ٩ أيام.

---

(١) مقال نشر في «النهار» في ٢٤ تموز/ يوليو عام ١٩٧١.

في البداية تحدث المعتمد السياسي البريطاني في دبي السيد جوليان ووكر، واعلن للحكام السبعة ان عليهم ان يبحثوا في ترتيبات تسلم السلطة من بريطانيا التي قررت الانسحاب في نهاية ١٩٧١: هذه السلطة تعني المحاكم والشرطة والجمارك والموانىء والمطارات واعطاء تأشيرات الدخول وغيرها من القضايا الادارية. واختلى الحكام ليبدأ الجدل. كان السؤال: من يعين رئيسا للمحاكم. هل ثمة اتحاد ليكون الرئيس اتحادياً أم ان التعيين سيتم على مستوى الامارات؟

ومع الجدل تحول اجتماع مجلس التطوير الى مؤتمر اتحادي وكان لا بد ان تبق البحصة. كثرت الشكاوى والمطالب. امارات شعرت في رغبة ابو ظبي في قيام الاتحاد مهما كان الثمن.

وأبو ظبي التي تأكدت ان البحرين وقطر لم تعودا في خاطر الاتحاد ولا في باله، وتحسست بالمطامع التي تحيط بالمنطقة، استبقت المؤتمر والمخاطر بتطوير نفسها الى «إمارة دستورية» لها مجلس وزراء ومجلس استشاري، وتقدمت بثقلها المعنوي والمادي تخير الامارات الصغيرة بين الاندثار أو التكاتف.

وأبو ظبي التي تعرف المنطقة اكثر من غيرها، تعرف ايضاً ان ثمة حكاماً مغامرين إذا تركوا جانباً لن يتورعوا عن بيع اماراتهم الى دول بعيدة كما باعوا ويبيعون الجوازات بـ ٣٠٠ دينار بحراني الجواز الواحد. وتأكدت ابو ظبي من ان بعضاً من هؤلاء الحكام اجروا اتصالات مع قوى عالمية عدة لعقد صفقات بيع اماراتهم عند اللزوم وقبض الثمن والتوجه الى أوروبا. وعمليات البيع، إذا تمت، تصبح خطراً على المنطقة كلها، فوجود قوة كبرى لدولة كبرى تعني السيطرة التامة في البر والبحر والجو واحتلال جديد لا يعرف أحد الى متى يستمر.

عرفت ابو ظبي بكل ذلك وأخذت تلح على الاتحاد ليكون لها كيان

دولي يحميها ويحمي منطقة الساحل في المستقبل.

والحـاح ابو ظبي فتح عيون حكام الامارات الصغيرة على وجوب تحقيق المكـاسب. حاكم الشـارقـة اقتـرح ان تحـول القـاعدة البريطانية في امارته بعد الانسحاب الى عاصمة. ورفض الاقتراح نسبـة الى العـداء بين الشارقة ودبي والى الخلاف القبلي (برغم القـرابة) بين قواسم الشارقة وقواسم رأس الخيمة. وطلب حاكم رأس الخيمة ان تخصص الامارات المنتجة للنفط (دبي وأبو ظبي) ٥ في المئة من قيمة انتاجها لبقية الامارات (نحو ١٥ مليون جنيه استـرليني) بمعـرفة حكامها وحدهم مـن دون اشراف السلطة، واعتبر هذا الطلب بمثابة طلب خوة للحكام غير قابل للمناقشة طالما أن السلطة الاتحادية مسؤولة عن تطور الامارات في الحقول كافة.

ـ **حسـاسيـة أخرى برزت**: حاكم دبي الشيخ راشد بن سعيد المكتـوم الذي يعتمد سياسة الخدمات لتطهير امارته، والخدمات بالنسبة اليه تعني التجارة والتهريب لا سيما الذهب الى الهند. وهو مع رغبته في الاتحاد يرغب أيضاً في حرية التصرف بحراً وجواً من دون ان يخضع التهريب لرقابة اتحادية.

وللشيخ راشد وضع خاص آخر، يشكل الايرانيون نسبة ٧٠ في المئة من سكان امارته وهو يعتمد على الصداقة مع إيران ليضمن الأمن للامارة. وطلب اعفاءه من الاصطدام بإيران بسبب جزر ابو موسى والطمب الكبرى والطمب الصغرى.

من هنا يمكن حل عقدة رأس الخيمة بطريقة خروجها على الاتحاد، بمعنى أنها أحرجت حتى اخرجت كما البحرين في السابق. فيوم كانت المطالبة الايرانية بالبحرين والتهديد باحتلالها بالقوة، تبرأت الامـارات منهـا وسلكت البحـرين طريقهـا الاستقلالية العربية والدولية باعتبارها دولة عربية مستقلة.

وهكذا وضع رأس الخيمة، تواجه المطالبة الايرانية وشيخها يتسلى

بإقامة كازينو للقمار وبإنشاء مصنع للحديد (أقفل الكازينو بعد مدة).

الاتحاد الجديد سيتكون كالآتي: رئيسه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، ونائب رئيسه الشيخ راشد بن سعيد المكتوم، وعاصمته ابو ظبي في انتظار قيام العاصمة الاتحادية الدائمة. ومجلس الوزراء ينتظر أن يكون قطباه مهدي التاجر من دبي وأحمد السويدي من ابو ظبي. ووفد سيزور السعودية والكويت وإيران ثم الدول العربية الأخرى وبريطانيا لأخذ البركة وبحث امكان انضمام الدولة الجديدة (١٩٠ ألف نسمة) الى الجامعة العربية والأمم المتحدة.

النتائج؟ البحرين وقطر مستقلتان. والسعودية ستشعر بالاحراج لأن لها تحفظات على زيادة نفوذ الشيخ زايد.

ـ **تبقى مشكلة الجزيرة**: رأس الخيمة تركت تقلع شوكها بيديها، لكن السعودية التي حضنت الشيخ صقر بن محمد القاسمي ومدته بالمعونات لن تتركه وحده، والبحث جار لايجاد صيغة للاتفاق مع إيران بحيث تستأجر الجزيرتين. وكذلك وضع جزيرة ابو موسى. وإيران لانت أخيراً وبدأت تناور لايجاد المخرج، وقد أوقفت حملاتها الصحافية على الكويت وجددت الدعوة الى الشيخ صباح الاحمد لزيارتها.

ـ **هل يستمر الاتحاد أم لا؟**: أطرف تعليق كان لحاكم أم القيوين الشيخ أحمد بن راشد المعلا الذي قال:

«وافقنا على كل شيء من أجل الاتحاد. اعترفنا بحق الفيتو لأبو ظبي ودبي وإذا ثبت سوء استعمال هذا الفيتو يكون لكل حادث حديث. حملنا المسؤولية ونرجو الله الا نضطر الى التخلي عنها».

الفصل الثاني

تجيير الخليج[1]

اعلن الدكتور عدنان الباجهجي وزير الدولة للشؤون الخارجية في حكومة ابو ظبي، ان التأخير في اعلان دولة الامارات العربية في الساحل المتصالح لا يؤثر انضمامها الى الجامعة العربية والأمم المتحدة في دورتيهما الحاليتين.

وقال الباجهجي في حديث خاص قبل سفره الى نيويورك ان ليس في نظام الأمم المتحدة ما يمنع درس طلب انضمام احدى الدول قبل انتهاء دورتها الجارية ولو بيوم واحد. وأكد ان ثمة ضمانات حصلت عليها حكومة ابو ظبي بأن يجتمع مجلس الجامعة العربية فور اعلان دولة الامارات العربية دولة مستقلة ذات سيادة ليبت طلب انضمامها، وسوف يقبل الطلب بالاجماع مع توقع امتناع حكومة اليمن الجنوبية عن التصويت كما فعلت بالنسبة الى طلبي دولتي قطر والبحرين. وذكر وزير الدولة للشؤون المالية السيد محمد الحبروش ان دولة الامارات ستقوم في مهلة شهر، اي قبل بداية شهر رمضان المقبل بأيام. وأشار الى ان الدولة كانت اعلنت فور مصادقة حكام امارات الساحل المتصالح على الدستور المؤقت لشهر خلا في مؤتمر دبي.

---

(١) «النهار» في ٢ تشرين الاول/ اكتوبر عام ١٩٧١.

ومنذ ذلك الوقت، انصرفت اللجان الفرعية التي تمثل الامارات الست الى وضع التشريعات الخاصة بتوحيد المصارف والشرطة والجمارك والتعريفات وشروط الدخول والخروج والاقامة والحصول على الجنسيات والمحاكم والتمثيل وكل ما يتعلق بشروط قيام الدولة الاتحادية الى جانب الحفاظ على كيانات الامارات. وسيجتمع الحكام مع مستشاريهم في أبو ظبي للمصادقة على التشريعات الجديدة، ومن ثم توقيع انهاء معاهدات الحماية مع المعتمد البريطاني في الخليج السير جيفري آرثر وتوقيع معاهدات صداقة جديدة مع بريطانيا، كما فعلت قطر والبحرين، لتصبح الدولة الاتحادية قائمة في العرف الدولي.

بعد هذه الشكليات المتفق عليها سينصرف الحكام الى البحث في تشكيل الحكومة الاتحادية التي ينتظر ـ كما علمت «النهار» ـ ان تضم بأكثريتها وزراء من غير الشيوخ. وينتظر ان يختار لرئاستها الشيخ مكتوم بن راشد المكتوم ولي عهد دبي. وقد تم حتى الآن اختيار أكثر الوزراء وبعضهم يتولى مناصب حساسة في حكومة ابو ظبي، ويجري البحث ايضاً في اختيار السفراء وخصوصاً في العواصم التي تعتبرها الامارات مهمة ولا سيما واشنطن ولندن والقاهرة وجدة وطهران.

ويدور جدل طويل حول السفير في بيروت الذي يريده الشيخ زايد ابن سلطان آل نهيان من طراز ديبلوماسي رفيع، لما للعاصمة اللبنانية من تأثير اعلامي ولما لها من ثقل في منطقة الشرق الاوسط، إذ انها موضع تجاذب عربي وشرقي وغربي. رأس الخيمة اعلن وزير الدولة انها ستنضم الى القافلة الاتحادية، مؤكداً ان استقلال البحرين وقطر لن يحول دون قيام تعاون وثيق بينهما وبين دولة الامارات. وقال الحبروش ان الخليج عائلة واحدة. ولن تستغرب إذا رأيت عجمانياً يتولى مهمة حساسة في أبو ظبي او بحرانياً يتولى منصباً رفيعاً في دبي.

وللظبيـاني خؤولة في قطر كمـا ان للقطري اعماماً في البحرين. وانتقـال ابن احـدى الامارات الى إمارة اخرى ليس كما هو بين الدول العـربيـة الأخـرى للسياحة او للاقامة المشروطة، بل هو الانتقال من حي الى حي آخر في الارض الواحدة لا شروط تحددها ولا فوارق ولا عوائق.

بقيام الدولة الاتحادية ستتوضح الصورة في الخروج وتنتهي عهود كانت بدايتها قوة ساحلية بحرية حكمت الخليج مئات السنين، ثم جاء البـورتغـاليـون في القرن السادس عشر بحجة القضاء على القـرصنـة يقيمـون القـلاع والحصـون. بعد البورتغاليين جاء الهـولنـديون فالفرنسيون يدسون أنوفهم في الخلجان اللؤلؤية. وسيطر الأولون مدة من الزمن حتى تمكنت بريطانيا من زحزحتهم والتحكم بالخليج لتأمين مواصلاتها الى الهند، وأجبرت الحكام على عقـد معـاهـدة الصلح وحماية الشواطىء من القراصنة، وكانت سيطرة امتدت نحو مئة وخمسين سنة، أنهى اسطورتها الرئيس البريطاني السابق هارولد ولسون عندما أعلن عن عزم بريطانيا على الانسحاب من شرق السويس. انتهت القرصنة وعهود صيد اللؤلؤ وجـاء عهـد النفط والناقلات واستعداد كل من السعودية وإيران لملء الفراغ، ومحاولة الدخول طرفاً في المنطقة بحجة تطويق ثورة ظفار في سلطنة عُمان ومنع امتداد اللهيب على طول الساحل، وحماية منابع النفط وخطوط المواصلات ولا سيما في مضيق هرمز.

الولايات المتحدة الاميركية ليست غافلة عما يجري، وهي بالاتفاق مع بريـطانيا تخطط لعملية التجيير ولا سيما تجيير دفع النفقات ومشاركة الدولتين الخليجيتين الكبيرتين في تحمل تبعات الوجود. فقصة السعودية مع الساحل معروفة ولا سيما مع عُمان، حيث لها مطالب اقليمية ورغبة في ايجاد ممر بحري على الساحل الغربي الى جانب المطالب الخاصة بالبريمي. تبقى القصة مع إيران ومطالبتها بجزر مضيق هرمز وهي طمب الكبرى وطمب الصغرى (تابعتان

لرأس الخيمة) وأبو موسى (تابعة للشارقة). والجزر غير المأهولة ليست ذات أهمية ما دامت إيران تملك القوة البحرية والحربية التقليدية والجوية مما يمكنها من السيطرة على الخليج، ولها جزر كبرى في المنطقة نفسها حولتها قبل مدة الى قواعد تتضاءل في مقابلها اهمية طمب الكبرى وطمب الصغرى. لكن لإيران وجهة نظر هي انها لا تريد ان تصبح هذه الجزر في المستقبل مخرزاً يهددها.

الرد العربي في الخليج على هذه الحجة ان القصة قصة مبدأ. فسواء كانت الجزر مهمة ام لم تكن، فإن عرب الخليج لا يمكنهم التسليم الا بعروبة الجزر والتمسك بهذه الهوية. مسؤول خليجي كبير قال لـ «النهار» ان إمارات الساحل ضد التسليم بما تدعيه إيران، كما انها ضد تدويل الجزر لكنهم مع تعريب قضيتها، اي جعل القضية قضية عربية عامة من المحيط الى الخليج. في رأي هذا المسؤول ان الامارات لا تستطيع الوقوف في وجه زحف إيراني، الا انها تعتمد على الاعتراف الدولي بدولة الاتحاد وبحدودها الاقليمية، بما فيها الجزر، وبالثقل العربي العام من المغرب غرباً حتى أقصى الخليج جنوباً.

ولإيران مصالح وصداقات عربية متينة لا يمكنها ان تتجاهلها، ولا يمكنها بتصرف متسرع ان تسعى الى فك نفسها من هذه الارتباطات، ومن ثم اعطاء الحجة للمتطرفين فتكون كأنها اشعلت الفتيل، مما يؤثر ليس على الخليج العربي بإماراته المتحدة وبالدولتين اللتين استقلتا فيه والمجاورتين للسعودية، بل يؤثر على وضعها وأمنها.

ويعتقد المسؤول ان إيران، بالحل الذي وجدته مناسباً لمطالبتها بالبحرين، ستجد ولا شك حلاً لقضية الجزر يحافظ على مصالحها امتداداً الى الجنوب وبالتالي يحافظ على سلامتها.

الفصل الثالث

الحبروش: لعبة الروليت[1]

قبل قيام الدولة بحوالى الشهر كان التساؤل مستمراً: هل تقوم أم لا تقوم؟

الحلول المطروحة لقضية الجزر والاستباق بلوم العرب لانهم خذلوا عرب الخليج على لسان مسؤول ظبياني كبير: تقوم دولة الامارات العربية المتحدة أو لا تقوم؟ سؤال طرح نفسه منذ أربعة اشهر ولم يلق جواباً حتى الآن. كان الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم إمارة أبو ظبي والمرشح لرئاسة دولة الإمارات في العين المنتجع ـ أو المصيف ـ في أبو ظبي، باستقبال شيوخ القبائل ومشاهدة سباق الجمال.. وفجأة قيل انه توجه إلى الصحراء، منهم من قال انه توجه الى الصحراء، منهم من قال انه توجه إلى التعبد ـ كعادته ـ في أواخر شهر رمضان من كل عام، ومنهم من قال انه توجه للقنص. وفي اليوم نفسه طار الى كراتشي ولي عهده رئيس الوزراء ووزير الدفاع الشيخ خليفة بن زايد يرافقه عدد من المستشارين، ولحق به من بيروت وزير الدولة لشؤون الرئاسة السيد احمد خليفة السويدي. والسويدي هو اللولب الاتحادي للامارات، وفي اليوم نفسه كان يتحرك اللولب الآخر مستشار حاكم دبي الشيخ راشد بن المكتوم السيد مهدي التاجر.

(١) «النهار» في ٢٦ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٧١.

ماذا في أبو ظبي؟

السؤال يطرح نفسه من دون جواب. على الكورنيش تنصب منصة استعداداً للعرض العسكري في ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر الذي شاءه الشيخ زايد أن يكون ذكرى جلوسه، وترفع الاعلام في شارع المطار وشارع الشيخ حمدان بن محمد آل نهيان. والاستعدادات قيل انها لذكرى ستكون ذات أهمية بالنسبة الى المنطقة ومستقبلها.

جاء السير وليم لوس المبعوث الشخصي لوزير الخارجية البريطانية السير ألك دوغلاس ـ هيوم الى الشارقة، وطار السير وليم الى لندن ومنها الى طهران فالشارقة ولندن، وأذيع اخيراً السر الذي شغل امارات الساحل المتصالح وقتاً طويلاً، وكان الاتفاق الايراني ـ البريطاني الذي يقضي بأن تكون جزيرتا الطمب الكبرى والطمب الصغرى في مضيق هرمز لإيران.. وتكون جزيرة ابو موسى التابعة للشارقة مناصفة بين هذه وإيران.

عن جزيرتي مضيق هرمز قال مراقب مطلع ان أمرهما انتهى كما تدعي ايران، فهما تقعان داخل المياه الاقليمية الايرانية. أما ابو موسى فهي اقرب الى الشاطىء الشارقي منها الى الشاطىء الايراني، كما انها تبعد عن هذا أكثر من ١٢ ميلاً وهي المسافة المعترف بها دولياً للمياه الاقليمية. وفي حديثه قال الشيخ خالد بن محمد القاسمي ان الشارقة عملت وسعها لتوضيح موقفها، لكنها مع الأسف لم تلق عوناً من أحد. بل انه حتى الذين يفترض ان يكونوا لها عوناً كانوا عوناً لإيران عليها. وقال الشيخ خالد انه سيبقى على موقفه. وان الاتفاق على انهاء قضية ابو موسى إذا تم سيتم في حدود امكانات كل من الشارقة وإيران وفي حدود السلبية العربية والامر الواقع.

وعلم ان الصيغة التي توصل اليها السير وليم مع طهران هي كالآتي:

١ـ تقسيم جزيرة ابو موسى مناصفة بين الشارقة وإيران ويكون لهذه الحق في اختيار المواقع الاستراتيجية مما يتيح لها اقامة قاعدة عسكرية إذا لم تعد «بندر عباس» القاعدة البحرية في مضيق هرمز كافية.
٢ـ لحاكم الشارقة الحق في تحديد الشركة التي تعطى حق في التنقيب عن النفط في مياه الجزيرة.
٣ـ في حال ظهور النفط يوزع الدخل مناصفة بين الشارقة وإيران ويتعهد الشاه بانفاق عائدات ايران من هذا النفط على تنمية امارات الساحل غير المنتجة للنفط.
٤ـ تعترف إيران والشارقة بأن حدود المياه الاقليمية هي ١٢ ميلاً.
٥ـ يتعهد الشاه بتقديم مساعدة مالية سنوية للشارقة قدرها مليون ونصف المليون جنيه استرليني لمدة ٩ سنوات قابلة للتجديد، وتتوقف هذه المساعدة تلقائياً في حال ارتفاع عائدات الشارقة من النفط الى ما يزيد على مليون ونصف المليون جنيه.
٦ـ تتم الموافقة على هذه المقترحات بواسطة رسائل يتبادلها الطرفان عبر وزارة الخارجية البريطانية.

التنازلات العربية ـ او البريطانية ـ يقابلها تعهد ايراني بدعم اتحاد امارات الساحل ومساعدته والدفاع عنه عند الضرورة القصوى. كما تتعهد ايران برعاية الانظمة وحمايتها من كل ما يعرضها لنهاية شبيهة بنهاية اتحاد السلاطين في اليمن الجنوبية. وتعتبر إيران ان تعهدها هذا يؤمن خلفيتها ويحافظ بالتالي على نظامها ويدعم هذا النظام ويسانده.

قبل الاعلان الرسمي لقيام الاتحاد سيتولى حاكم الشارقة ومن ينوب عن الجانب الايراني اتخاذ اللازم وتوقيع الاتفاقات بمباركة

السير وليم لوس، الذي يوقع بدوره مع حاكم الشارقة انهاء اتفاق الحماية بين بريطانيا والشارقة.. وبذلك تكون الشارقة حرة متحررة لا تجر معها الزاماً لبقية الامارات ولا توريطاً في قضية، وبعدها يكون للاتحاد دور وقائمة. ففي المشاورات التي جرت مع أكثر من جانب وطرف كان السؤال: ماذا عن السلبية الايرانية؟

بريطانيا لا تريد توريطاً ولا مجابهة. امارات عدة فيها اغلبية سكانية ايرانية. لبعض الحكام مصالح مع إيران. وكان الحل البريطاني على الطريقة المعروفة: «دع الالغام في الحقل الذي تخليه مستورة.. حتى يكون لك في المستقبل موضع قدم».

اما السعودية فموقفها سلبي لكن سلبيتها لا تتعدى حد السكوت او «الحرد». فهي تريد اتحاداً خليجياً قوياً يقيها هي الأخرى «غدرات» الزمان. وان كانت لها مع ما تريده هنا مطالب اقليمية واضحة وأكثر من واضحة، لكنها تطويها، فلا الارض التي تطالب بها هاربة ولا الرجال خالدون.

في استعجاله لاعلان دولة الاتحاد ابتسم وزير الدولة للشؤون المالية في ابو ظبي السيد محمد الحبروش وقال: اترك اللعبة تدور حتى نهايتها.

في لعبة الورق لا بد ان تجد الورقة الرابحة. في الروليت لا بد للكرة ان تقف على الرقم الرابح أو الخاسر. وشروط اللعبة ان تكون بارد الاعصاب.

ابو ظبي وضعت اعصابها في ثلاجة. اثنان كانا يحكمان اعصابهما كثيراً: السويدي الذي يقلد السندباد بأسفاره، والدكتور حسن عباس زكي الذي جاء مستشاراً اقتصادياً للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، فإذا به يصبح مستشاراً سياسياً ورئيساً غير مسمى للجنة الاتحاد التي أنشأتها أبو ظبي.

السويدي وزكي جالا أكثر من مرة. الأول عربياً وغربياً، والثاني خليجياً وسعودياً ومن ثم قاهرياً. في الوقت نفسه كانت لجنة الاتحاد تعقد الاجتماعات اليومية. وهي لجنة استحدثها الشيخ زايد من رجال القانون الخليجيين والعرب وتضم عدداً من أساتذة جامعات مصر استقالوا ليشغلوا عضوية اللجنة لقاء تعويضات كبيرة.

مهمة اللجنة وضع الكادرات وتحديد الشؤون الثانوية للدولة الجديدة. واجتمعت اللجنة أكثر من مرة في حضور مستشاري حكام الامارات أو ممثليهم، وانجزت ما عليها من مهمات بحيث ان قيام دولة الاتحاد لا يحتاج الى أكثر من ضوء أخضر.

عود الى الوزير الحبروش. قال:

«جربنا كل العرب، وشاورنا جميع الفرقاء، وغداً عندما يتقرر مصير جزر المضيق نأمل ان لا نتهم بالعمالة».

وأضاف:

«كيف نقاوم المخرز؟ عملنا ما علينا وطلبنا النجدة وقلنا يا عرب! والنتيجة كما تعلم ويعلمون. الضعف لا يعني الاسترخاء امام القوي ولا الاستسلام. لم نسترخ ولم نستسلم لكن ما هو موقف غيرنا؟ هل جاءت قوة رمزية عربية الى الجزر لتؤكد هويتها؟».

ويستطرد عارف آخر بأمور الخليج:

«هل تبرعت دولة عربية تحسن لغة الكلام بعشرة جنود يقفون في الجزيرة لاثبات وجود قوة عربية؟ ثم هل نسي الصامتون والمتكلمون الوضع القانوني لامارات الساحل المتصالح وارتباطاتها ببريطانيا ومسؤولية هذه عن الحماية وشؤون الدفاع والتمثيل واعطاء التأشيرات و.... و... الكلام سهل ولكن التنفيذ صعب. لم تتأخر ابو ظبي في اداء واجباتها حتى آخر لحظة ولن تتأخر. وعندما تدق الساعة تكون أدت واجبها واعطت ما عندها وأكثر، وللتاريخ بعدها ان يحكم».

ويصمت العارف بالأمور ليتكلم الدكتور عدنان الباجهجي وزير الدولة، الذي نص مرسوم تأليف الحكومة على تكليفه مساعدة

الوزير السويدي في الشؤون الادارية والخارجية. يقول ان الامارات لم تستقل قانوناً طالما معاهدات الحماية لم تلغ. وقبل الغاء المعاهدات لا يحق للامارات الانضمام الى الجامعة العربية والى الأمم المتحدة.

انشاء دولة لا يتم بهذه السهولة. وكون الدولة الجديدة تضم أكثر من إمارة يعني وجود عراقيل يجب تذليلها.
ويقنع الدكتور الباجهجي محدثه بأن التأني هو واجب، وان من الافضل الاتفاق على هيكلية الدولة الاتحادية وكادراتها وتحديد الوظائف ونسبة عدد الموظفين في كل إمارة قبل اعلان قيام الدولة نفسها. وفيما كان الحبروش والباجهجي يتحدثان، كان آخر جندي بريطاني يرحل عن قاعدة المرقاب في الشارقة، مما يعني تحقيق الانسحاب بالفعل قبل نهاية تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧١، أي قبل الموعد الرسمي للانسحاب بشهر. بعد الانسحاب كان لا بد لبريطانيا ان تتخذ الموقف. ابلغت جميع حكام امارات الساحل المتصالح انها مضطرة الى الغاء اتفاقات الحماية، كما كانت فعلت مع قطر والبحرين، وإبدال هذه الاتفاقات بمعاهدة صداقة جديدة لا بأس ان تكون مع دولة الاتحاد إذا شاء الحكام ان يقوم الاتحاد.

وفي ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر الموعد الذي حدده حاكم ابو ظبي عيداً قومياً سيتم اعلان الاستقلال، وبعده بيومين أو ثلاثة يتم اعلان دولة الاتحاد، وهكذا يكون الخليج العربي شهد خلال ٤ اشهر ولادة ثلاث دول جديدة: دولة قطر، دولة البحرين ودولة الامارات العربية المتحدة.

الفصل الرابع

غليان في المنطقة(١)

وقـع المقـدّر واحتلت ايران الجزر ووقع غليان في المنطقة. هكذا كان الوضـع يومها وهذه تفصيلاته:

بدأ الخليج يغلي. كثيرون يتوقعون الانفجار، لكن العقلاء يحاولون تهدئة الحال خوفاً من تطور الامور الى اسوأ. في رأس الخيمة قامت تظاهرات وأحرق بنك «ميللي إيران» والبنك البريطاني احتجاجاً على ما يسميه المواطنون هنا «تسليم جزر مضيق هرمز من قبل بريطانيا الى ايران».

ايران تعلن ان احتلال جزيرتي الطمب الكبرى والطمب الصغرى تم بالاتفاق مع رأس الخيمة عبر بريطانيا. الشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم رأس الخيمة نفى لـ «النهار» ان يكون ثمة اتفاق من هذا النوع واتهم بريطانيا بتسليم الجزر الى إيران. مسؤول آخـر في رأس الخيمـة قال ان الحـاكم كان استنجد بكل الدول العربية، كما طلب من بريطانيا السماح لقوات عربية بالمرابطة في الجزيرتين فوافقت بريطانيا، لكن العرب الذين يهددون ويتوعدون اليوم لم يحركوا ساكناً مع علمهم ان هذه نهاية الجزر.

قول آخر: ان التحريض، والبعض يقول من البريطانيين، والآخر

(١) «النهار» الأول من كانون الاول/ ديسمبر عام ١٩٧١.

يقول انه من بعض الاذاعات العربية، يعني قيام مجابهة عربية ـ ايرانية قد تنتهي باحتلال الشاطىء لا الجزر فحسب. وفيما كانت التظاهرات في رأس الخيمة كان حاكمها يوقع انهاء اتفاق الحماية مع بريطانيا، من دون ان يعرف احد الوضع القانوني للامارة التي رفضت ان تنضم الى دولة الامـارات العـربيـة المتحدة للساحل المتصالح، وليست لها امكانات تخولها حتى ان تكون دولة مستقلة ذات سيادة.

قامت في الشارقة ايضاً تظاهرة لكن من دون ان يقع حادث يخل بالأمن. الحاكم الشيخ خالد بن محمد القاسمي قال لـ «النهار»: ان نزول الايرانيين في جزيرة ابو موسى كان بموجب اتفاق وليس احتلالاً. وهو يدافع عن موقفه لأن أي بلد عربي لم يقف الى جانبه عندما كان يطلب النجدة. في دبي قامت تظاهرة طالبية لكن لم تقع حوادث شغب. في العين، المدينة الثانية في أبو ظبي، قامت ايضاً تظاهرة سلمية.

الناس في الخليج في واد والحكام في واد آخر.

مساء أمس وصل الى دبي حاكم أبو ظبي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، ومعه وزير الدولة لشؤون الرئاسة السيد أحمد خليفة السـويـدي وكبار المستشارين، ليحضروا اجتماع حكام امارات الخليج المتصالح الساعة التاسعة والنصف صباح غد الخميس ليعلنوا قيام دولة الاتحاد. وكان الشيخ زايد وغيره من الحكام وقعوا اليـوم اتفـاقـات الحمـاية مع المقيم البريطاني في الخليج السير جيفري آرثر تمهيداً لتوقيع معاهدة صداقة جديدة مع بريطانيا، يوقعهـا الرئيس المـؤقت لدولة الاتحاد الشيخ زايد. وفيما كانت التظاهرات في إمارات الخليج، كانت ماكينات الخياطة تطرز العلم الجـديد لدولة الاتحاد من الاسود والابيض والاخضر مع شريط احمر جانبي.

كان القلق عاماً اليوم في الخليج. والخوف من ان تتطور الاحداث الى اشتباكات اهلية تستوجب تدخل الايرانيين وتتعثر بسببها ولادة دولة الاتحاد.

عن المجابهة في الطمب الكبرى، فإنها تمت على الشكل الآتي:

نزل الى الجزيرة ٥٠٠ ضابط وجندي ايراني واحتلوا الجبل المرتفع فيها ثم هبطوا الى الجانب الآخر من الساحل فجاءتهم شرطة رأس الخيمة وعلى رأسها ضابط يرفع يديه علامة الاستسلام. عندما اقترب الايرانيون أطلق شرطيو رأس الخيمة النار فسقط ضابط وجنديان ايرانيون قتلى. وقتل أربعة من شرطة رأس الخيمة.

اليوم اخلت ايران الطمب الكبرى من سكانها (٢٥٠ أسرة) وحولت مدرستها الى مخفر.

في أبو موسى الحالة مستقرة. والمنطقة تستعد بعد التحرر من اتفاقات الحماية لاعداد دولة الامارات العربية المتحدة. عنها قال البعض انها حلم. مسؤول كبير في دبي قال: ليس المهم قيام الاتحاد بل المهم المحافظة عليه.

الآن اختلطت الاوراق في الخليج. كان الخلاف كما صور من قبل بريطانيا ايرانياً، لكن البريطانيين استطاعوا ان يحولوه، وبتحريضهم، كما قيل، على التظاهرات، الى نزاع عربي - ايراني.

الجديد ان رأس الخيمة قد تنضم في حركة دراماتيكية مسرحية غداً الى دولة الاتحاد، وان التظاهرات كانت لتسجيل موقف، وان إيران المعقدة من الخليج لا تعرف هي نفسها الى أين سوف تصل: هل تبقى حيث هي، أم ترث بريطانيا كلياً في الخليج كما سعى الغرب وهيأها لذلك؟

في بغداد (رويتر، و.ص.ف.) طالبت جماهير غفيرة تظاهرت بعد ظهر

اليوم برد مسلح فوري على الاحتلال الايراني لثلاث جزر صغيرة في الخليج.

وقالت وكالة الانباء العراقية الرسمية ان المتظاهرين الذين تجاوز عددهم ٢٥٠٠٠٠ نسمة شجبوا «مواقف الصمت والتخاذل العربية إزاء العدوان الايراني الاخير على الارض العربية».

وطالب المتظاهرون كل الدول العربية بالتصدي الحازم للتحديات الايرانية.

الفصل الخامس

«زفّة» الدولة الجديدة[1]

هكذا تم اعلان قيام دولة الامارات العربية المتحدة.. وهكذا تمت «الزفة» في موكب للقهوة المرة وآخر للدشاديش البيضاء في قصر الضيافة في منطقة الجميرة في دبي:

الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم استدعي الى قصر الضيافة في «الجميرة» موكب القهوة المرة. دشداشة بيضاء في المقدمة لابسها يطقطق بالفناجين، ووراءه ستة أنفار بلون البن المحروق، يحمل كل منهم «دلة» (ركوة القهوة المرة) ويطقطق في اليد الأخرى رداً على انغام رئيس الموكب. دخل هؤلاء الى قاعة الاجتماعات في قصر الضيافة ثم لمعت عدسات التلفزيون وآلات التصوير ايذاناً بإعلان قيام الدولة العربية الثامنة عشرة، دولة الامارات العربية المتحدة.

الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة اتخذ قرار اتحادي باختيار علم الدولة الجديدة من أربعة ألوان هي: الاحمر والاخضر والابيض والاسود. في الدقيقة العاشرة تلا وزير الدولة لشؤون الرئاسة في أبو ظبي السيد احمد خليفة السويدي بيان المجلس الاتحادي الأعلى بإعلان الدولة من إمارات ابوظبي ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين والفجيرة وبسريان أحكام الدستور المؤقت.

---

(١) «النهار» في ٢ كانون الاول/ ديسمبر عام ١٩٧١.

وفيما يأتي نص بيان قيام الدولة الجديدة التي تبلغ مساحتها ٨٣٧٥ كيلومتراً مربعاً (اصغر من مساحة لبنان) ولا يتجاوز عدد سكانها ١٥٤ ألف نسمة:

«في هذا اليوم الخميس الموافق الخامس عشر من شهر شوال ١٣٩١ هجرية الموافق اليوم الثاني من شهر كانون الأول [ديسمبر] ١٩٧١ في إمارة دبي، عقد حكام امارات ابو ظبي ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين والفجيرة، الموقعون الدستور المؤقت للامارات العربية المتحدة، اجتماعاً لهم، في جو سادته مشاعر الاخوة والثقة والحرص العميق على تحقيق ارادة شعب هذه الامارات، واصدروا اعلاناً بسريان مفعول احكام الدستور المذكور اعتباراً من هذا اليوم».

ثم تابع الحكام اجتماعهم كمجلس أعلى للاتحاد. وتم في هذا الاجتماع انتخاب صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم امارة ابو ظبي رئيساً لدولة الامارات العربية المتحدة لمدة خمس سنوات، وصاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم امارة دبي نائباً للرئيس للمدة نفسها. وقد أدى كل منهما اليمين الدستورية وفق احكام الدستور. كما تم تعيين صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد المكتوم ولي عهد إمارة دبي رئيساً لمجلس الوزراء الاتحادي.

وسيعقد المجلس اجتماعه الثاني في ابو ظبي الثلثاء الموافق السابع من كانون الأول [ديسمبر] ١٩٧١.

ويزف المجلس الأعلى هذه البشرى السعيدة الى شعب الامارات العربية المتحدة وكل الدول العربية الشقيقة والدول الصديقة والعالم اجمع معلناً قيام دولة الامارات العربية المتحدة، دولة مستقلة ذات سيادة وجزءاً من الوطن العربي الكبير تستهدف الحفاظ على استقلالها وسيادتها وعلى أمنها واستقرارها ودفع كل عدوان على كيانها أو كيان الامارات الاعضاء فيها، وحماية حقوق وحريات شعبها، وتحقيق التعاون الوثيق في ما بين اماراتها لصالحها المشترك. من أجل هذه الاغراض ومن أجل ازدهارها وتقدمها في كل المجالات وتوفير الحياة الافضل لجميع المواطنين، ونصرة القضايا والمصالح العربية والاسلامية وتوثيق أواصر الصداقة والتعاون مع كل الدول والشعوب على اساس مبادىء ميثاق الجامعة العربية وميثاق الأمم المتحدة والاخلاق الدولية.

ويستنكر الاتحاد مبدأ استخدام القوة، ويأسف لما اتخذته ايران اخيراً من احتلال جزء من الوطن العربي العزيز، ويرى ضرورة احترام الحقوق المشروعة ومناقشة ما قد ينشأ من خلافات بين الدول بالطرق المتعارف عليها دولياً.

والمجلس الاعلى للاتحاد، إذ يتوجه بهذه المناسبة التاريخية المباركة الى الله العلي القدير بالحمد والشكر على توفيقه وعونه، والى شعب الاتحاد بالتهاني المباركة على تحقيق امانيه، ايماناً من المجلس بأن اي وحدة أو اتحاد في أي بقعة من الوطن العربي خطوة في طريق الدعوة الحقة الى الوحدة العربية الشاملة.

وانه ليحرص على ترحيبه بانضمام باقي الدول في الامارات الشقيقة الموقعة اتفاق اتحاد الامارات العربية الموقع في دبي في ٢ شباط [فبراير] ١٩٦٨ لدولة الامارات العربية المتحدة».

بعد البيان خرج حكام الامارات الست الى الباحة حيث رفع علم الدولة الجديدة وسط دوي ٢١ طلقة مدفع. قامت الدولة العربية الثامنة عشرة وتوجه وزير الدولة في حكومة أبو ظبي الدكتور نديم الباجهجي الى نيويورك لتقديم طلب انضمام الدولة الى الأمم المتحدة، فيما يستعد وزير الدولة للشؤون المالية السيد محمد الحبروش للسفر الى القاهرة وتقديم طلب الانضمام الى الجامعة العربية.

الحكومة الاتحادية، كما علمت ستضم ١٤ وزارة وينتظر ان يكون السويدي وزيراً للخارجية. عقبة وحيدة اخرت اعلان الحدث، هي مطالبة وفد امارة ام القيوين باستنكار اتفاق الشارقة مع إيران على انزال قوات ايرانية في جزء من جزيرة ابو موسى، لكن المجلس الاتحادي اكتفى بالاستنكار العام من دون الاشارة الى موقف الشارقة، خوفاً من انسحاب وفدها. الى جانب ذلك عقد الاجتماع وسط الحماية والحراسة بسبب تظاهرة صباحية قامت في دبي تحيي دولة الاتحاد وتستنكر الغزو الايراني.

حادثة أخرى تركت القلق في نفوس المجتمعين نشأت عن رصاصة اطلقها مجهول على شقيق حاكم الشارقة قائد الأمن والشرطة فيها الشيخ صقر بن محمد القاسمي. مجهول انتظره في ساعة متأخرة من ليل أمس امام باب منزله واطلق عليه النار، فاصابته رصاصة في كتفه، لكن الاصابة لم تكن خطرة. تعقد الموقف، مما حمل سلطات الشارقة على إقامة حاجز عسكري على طريق دبي - الشارقة لمراقبة المشبوهين واعتقال مطلق النار، حتى لا يتكرر الحادث وتتحول المنطقة الى مسرح اغتيالات سياسية. وكان الشيخ صقر مثّل أخيه في استقبال قوة انزال بحرية ايرانية في جزيرة أبو موسى يوم الثلثاء. قضية الجزر بدأت على ما يبدو تفقد لمعانها.

حاكم الشارقة الشيخ خالد بن محمد القاسمي عقد مؤتمراً صحافياً تلا فيه بياناً دافع عن الاتفاق حول جزيرة ابو موسى، وقال انه حفظ للشارقة حقها المشروع في جزء غال من أرضها. وأضاف ان الاتفاق ضمن للشارقة سيادتها على الجزيرة، كما ان شركة «بيوتز كار اند اويل» كلفت التنقيب عن النفط والثروات الطبيعية في الجزيرة. اما القوات الايرانية فلا ترابط الا في منطقة متفق عليها، وتدفع طهران للامارة مساعدة قيمتها مليون ونصف المليون جنيه استرليني سنوياً، ولمدة تسع سنوات. وتتوقف هذه المساعدة عندما يبلغ دخل الشارقة من النفط ٣ ملايين جنيه في السنة. وأمام الصحافيين سأل الشيخ خالد حشداً كبيراً من مواطني الشارقة عما إذا كان استشارهم قبل توقيع الاتفاق، فكان جواب المواطنين بالايجاب.

لماذا محاولة الاغتيال.. إذاً؟ شارقيون قالوا ان قائد الشرطة الشيخ صقر استقبل الايرانيين وذبح لهم الخراف تكريماً. وآخرون قالوا انه زار جزيرة أبو موسى بحكم منصبه واستقبل اميرال الاسطول الايراني في الخليج، وان هذا صرّح بأن بلاده ستبقى تحترم سيادة الشارقة على الجزيرة وتحترم علمها المرفوع. مواطنون من امارة ام

القيـوين اصـدروا بياناً استنكروا فيه تسليم الجزر الى ايران، واتهموا بريطانيا بالتواطؤ وطالبوا دولة الامارات الجديدة، بنقض الاتفاق حول جزيرة ابو موسى. تبقى قضية رأس الخيمة.

في مقابلة مع الشيخ صقر بن محمد القاسمي الحاكم، قال ان الرد على احتلال الجزر يكون في ضرب المصالح البريطانية والايرانية في العالم العربي. وأكد انه يحمّل بريطانيا مسؤولية تسليم جزيرتي الطمب الكبرى والطمب الصغرى. وانه لا يعترف بأي سيادة لغير رأس الخيمة فيهما.

وكـانت الحـالة هادئة اليوم هناك، بينما أذيع بيان لمؤتمر شعبي يحرض على طرد الايرانيين من الخليج العربي.

تعليقاً على هذا الطلب قال حاكم الشارقة:

ـ لقد استنجدنا بالعرب. وقدمنا اليهم المذكرات حول وضع الجزر، فلم يرد أحد.

وعندما سئل عما كان رد مصر والعراق أجاب:

ـ ان رئيسي هاتين الدولتين لم يردا.

وكـان المخـرج لقضية ابو موسى عقد اتفاق يحفظ كرامة الخليج ويحافظ على عروبته.

في ختام نهار الخليج الحافل بالرطوبة، كان رئيس دولة الامارات الشيخ زايد بن سلطان يوقع معاهدة صداقة جديدة مع بريطانيا، ويلقي كلمـة عن العلاقات الطيبة بين الدولتين، فيرد عليه المقيم البريطاني السير جيفري آرثر بكلمة مماثلة وباللغة العربية وينقل الى الدولة الجـديـدة «تحيـات صاحبـة الجـلالة ورئيس وزراء بريطانيا». أما ممثل وزير الخارجية الشخصي في الخليج، السير وليم لوس صاحب لعبة الجزر، فلم يذكره احد بكلمة، لا خيراً ولا شراً.

الفصل السادس

الألغام... وبداية التفجير[1]

قامت الدولة، لكن رافقها تفجير الغام عدة، احتلت ايران الجزر الثلاث ووقعت معارك وتظاهرات دامية وبخاصة في رأس الخيمة الذي أصر شيخها على عدم الانضمام.

قامت دولة الامارات العربية المتحدة وبدأت معها المتاعب. الالغام التي خلفها البريطانيون اخذت تنفجر، الواحد بعد الآخر. كما حصل في عدن وكما هو حاصل في سلطنة عمان، أراد البريطانيون ان يحصل في الدولة العربية الجديدة. تركوا البحرين من دون الغام فكانت وراثتهم سهلة وشعروا بالخسارة، لكنهم، بالنسبة الى الساحل المتصالح أرادوه الا يكون متصالحاً. اوهموا إيران أن اتفاقاً عقد مع رأس الخيمة على تسليم جزيرتي الطمب الكبرى والطمب الصغرى. ونام حاكم هذه الامارة على اساس ان الاحتلال الايراني للجزيرتين لن يتم ما دامت الامارة تحت الحماية البريطانية. وإذا بالاحتلال يحصل. والبريطانيون لا يقاومون. والمسؤول عن اعطاء الأمر بإطلاق النار على الغزاة في الطمب الكبرى لا يزال مجهولاً. وكانت النتيجة مقتل ستة من شرطة رأس الخيمة وثلاثة من الايرانيين. ومعروف ان الضباط في كشافة عُمان المسؤولة عن الدفاع عن الامارة، بريطانيون. وهدف الدولة

(١) «النهار» في ٤ كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٧١.

الجديدة هو تفجير الالغام ـ من دون ضحايا ـ الواحد بعد الآخر.

الى رأس الخيمة توجه وفد برئاسة وزير الدولة لشؤون الرئاسة السيد احمد خليفة السويدي يحاول اقناع الشيخ صقر بن محمد القاسمي بالانضمام الى الامارات الست، لكن جواب الشيخ كان مطاطاً، لا سلبياً ولا ايجابياً. وعاد السويدي الى ابو ظبي ليعلن ان المجلس الاعلى للامارات سيبحث في جلسته الثلثاء المقبل في قضية الجزر. والقرار طبعاً سيكون استنكاراً لاستخدام القوة من قبل إيران، لا اكثر. لغم آخر تحاول ابو ظبي تفجيره.

طافت اليوم لجنة على الممتلكات الايرانية التي لحقها التخريب في تظاهرة يوم الخميس لتعويض اصحابها ولتفادي اتساع التوتر بين المواطنين العرب والمواطنين الايرانيين.

ايران تلعب اللعبة البريطانية الى الآن، فمع الاحتفالات بما سمته «استعادة السيادة» على جزر مضيق هرمز، فتحت اذاعتها ابواقها تحذر العرب من أي انتقاص لما سمته «السيادة الفارسية على الخليج الفارسي». وحذرت ايضاً من أي اعتداء على المواطنين الايرانيين في الخليج. وهذا يعني ان بريطانيا التي سلمت طهران الجزر بيد، تحاول ان تأخذ عرب الدولة الجديدة باليد الأخرى عن طريق اقناعهم بأن لا غنى لهم عن مساندتها، كما هو حاصل في سلطنة عمان بسبب ما يجري في ظفار.

الى القاهرة توجه اليوم وفد برئاسة وزير الدولة للشؤون المالية السيد محمد الحبروش لتقديم طلب الانضمام الى الجامعة العربية. وضم الوفد ممثلين عن الامارات الست للاشتراك في مناقشة موضوع الجزر.

وفود التهنئة بدأت تصل. اولها الوفد العراقي برئاسة الدكتور سعدون حمادي، ثم وزير الخارجية التونسي السيد محمد

الصمودي الذي حل ضيفاً لاربع وعشرين ساعة فقط، ثم عضو مجلس قيادة الثورة الليبي ووزير الصناعة الرائد عبد السلام جلود. وهناك ايضاً الوفد الكويتي برئاسة الشيخ صباح الاحمد الجابر وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة، وعضوية وزير المال والنفط السيد عبد الرحمن سالم العتيقي، ووكيل وزارة الاعلام السيد سعدون الجاسم، ومدير مكتب الشيخ صباح السيد عبد العزيز الخضر ووفد اعلامي.

انشط المهنئين كان سفير اليابان في الكويت الذي قال:

> «ان رأي الصناعيين اليابانيين منقسم فريقين حول مستقبل المنطقة. فريق قلق من وراثة الولايات المتحدة للنفوذ البريطاني خوفاً منا على المصالح التجارية لليابان في المنطقة التي تبلغ مستورداتها اليابانية نحو ٩٠ في المئة من مجموع استهلاكها، وفريق آخر يرحب بالوراثة الاميركية، في اعتبارها حامية للمصالح الغربية ومن ضمنها مصالح اليابان».

وأكد السفير لوفد تلفزيوني ياباني ان استئجار قاعدة المرقاب الجوية في الشارقة من قبل شركة طيران اميركية مدنية، مقدمة لتمركز اميركي جديد بعد تطورات الحرب في فيتنام وكمبوديا ونشوب الحرب الهندية ـ الباكستانية.

وفيما كان الحبروش في طريقه الى المطار، كانت تظاهرة باكستانية تجول في شوارع العاصمة ابو ظبي احتجاجاً على ما سمته «الغزو الهندي لباكستان الشرقية»، كأن الدولة الجديدة لا تكفيها الالغام من الداخل.

آخر الالغام، الحكومة الاتحادية التي تردد ان ثمة خلافاً على توزيع حقائبها بين الامارات. كما تردد ان السيد احمد السويدي اعلن قبوله وزارة الخارجية في الدولة الاتحادية شرط احتفاظه بمنصب وزير الدولة لشؤون الرئاسة في ابو ظبي.

الفصل السابع

مساومات قضية الجزر[1]

ظلت قضية الجزر تشغل المنطقة مدة طويلة، قبل الاحتلال وبعده. وهذا ضوء عما كان يجري.

فشلت رحلة السير وليم لوس الممثل الشخصي لوزير الخارجية البريطانية السير الك دوغلاس ـ هيوم الى الخليج.

رفضت امارتا الشارقة ورأس الخيمة التنازل عن جزر مضيق هرمز (ابو موسى، الشارقة والطمب الكبرى والطمب الصغرى، رأس الخيمة) لايران، في مقابل مبلغ سنوي تدفعه هذه لكل من الامارتين مقداره مليون ونصف المليون جنيه استرليني وعلى اقساط لمدة ٩ سنين، مع اعطاء كل من الامارتين ٤٩ في المئة من قيمة الثروة النفطية والمعدنية إذا ثبت وجود نفط أو معادن في هذه الجزر. الشيخ خالد بن محمد القاسمي حاكم الشارقة قال انه لن يتخلى عن ابو موسى مهما بلغ الثمن الذي تعرضه إيران. وكذلك صرح حاكم رأس الخيمة الشيخ صقر بن محمد القاسمي بالنسبة الى جزيرتي الطمب الكبرى والطمب الصغرى. ويمكن القول ان رحلة لوس الى الخليج قد فشلت وستكون الاخيرة، فتعلن بريطانيا بعدها تخليها عن بذل أي مسعى لحل قضية جزر مضيق هرمز قبل تنفيذ الانسحاب البريطاني من الخليج واعلان دولة الامارات

(١) «النهار» في ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٧١.

العربية المتحدة في الساحل المتصالح.

وبطي بريطانيا لملف قضية الجزر تصبح المواجهة مباشرة بين إيران والدول العربية وفي مقدمتها دول الخليج واماراته.

ويبدأ التساؤل: اين هم العرب من هذه القضية؟ مسؤول كويتي كبير قال ان العرب ليسوا في وارد معاداة ايران إكراماً للجزر ولا هم في وارد مطالبتها بالتخلي عن تصلبها. ورداً على سؤال حول قضية «تعريب» الجزر كما اقترحت امارات الساحل المتصالح قال المسؤول: اسألوا الامارات صاحبة العلاقة.

حاكم أبو ظبي، التي اختيرت عاصمة مؤقتة لاتحاد الامارات، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان قام بمسعاه على صعيد عربي. أوفد اقرب مستشاريه وزير الدولة لشؤون الرئاسة السيد احمد خليفة السويدي أكثر من مرة الى طهران والعواصم العربية لكنه عاد بخفي حنين. في جولته الاخيرة سمع السويدي كلاماً عاماً عن الحق العربي في الجزر، وكلاماً عاماً آخر عن المصالح العربية العليا التي تقضي في هذه الظروف بالذات بالتعاطف مع إيران، نظراً الى حساسية علاقة هذه بالدول العربية وتعاطفها مع الحق العربي القائم على المطالبة بانسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة. وعندما أورد السويدي امثلة عدة على تخلي العرب أكثر من مرة عن دول كانت تقف الى جانبهم لم يجد جواباً. ذكر مثلاً ان حكومة الصين الوطنية أبدت دائماً وجهة النظر العربية في المجالات الدولية ولم تعترف بإسرائيل إكراماً للعرب ومع ذلك خذلها هؤلاء. وقال ان اسبانيا كانت دائماً الى جانب العرب لكنها لاقت من صحفهم ما لم تلقه اسرائيل نفسها بحجة ان نظامها فاشستي! واضاف ان الهند لم تر تأييداً لقضيتها مع اللاجئين من باكستان ـ مع الاعتراف بتأييد باكستان للعرب ـ وتساءل: كيف يلتقي الشتاء والصيف على سطح واحد؟

لم يجد السويدي جواباً ولا حماسة لاقتراح «تعريب» قضية جزر مضيق هرمز، بل لاحظ ان كل دولة عربية تحاول قدر الامكان المحافظة على علاقاتها الطيبة ـ حديثاً ـ مع إيران ولو طارت الجزر ومعها الخليج.

عود الى الكويت.

عندما سئل المسؤول الكويتي الكبير عن سبب تحمس بلده لعروبة الجزر قال انها قضية مبدأ والمبدأ فوق المصالح. وهكذا كان الجواب نفسه عندما طرح على الدكتور عبد الستار محمد الجواري وزير التربية العراقي والمبعوث الخاص للرئيس احمد حسن البكر الى الخليج. وقيل للمسؤول الكويتي الكبير ما سبب عدم تبني الكويت قضية جزر المضيق ونقلها الى مؤتمر وزراء الخارجية العرب المقبل (في ١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر) واجتماعات مجلس الدفاع العربي، فأجاب: نبت على لساننا الشعر. وقال: الكويت لم تقصّر. في الامكان سؤال اي وزير خارجية عربي لم نطلعه على القضية. والمؤسف ان اكثر الوزراء كان يجيب بانه لا يعرف اين يقع مضيق هرمز ولا اسماء الجزر المختلف عليها، ولا حتى هوية تبعية هذه الجزر وتاريخها.. وكان يكتفي بطلب مهلة للدرس والتمحيص لاعطاء الجواب. ولم يرد الجواب حتى الآن. وقيل ايضاً للمسؤول الكويتي الكبير ألم تبحثوا في القضية مع الرئيس أنور السادات عندما زار الكويت؟ اجاب: اسألوا محاضر المحادثات. البيان المشترك أكد تأييد الدولتين لقيام دولة الامارات العربية المتحدة (أبو ظبي وأم القيوين وعجمان والفجيرة ورأس الخيمة التي لها جزيرتا الطمب الكبرى والطمب الصغرى والشارقة التي لها جزيرة ابو موسى). وزاد: والتأييد يعني الدعم الذي يعني ايضاً الاعتراف بحقوق الدولة الجديدة في أراضيها وجزرها.

وكان السؤال: وقضية الجزر بالتحديد؟

وكان الجواب: اسألوا الرئيس المصري ان كان أتى على ذكر قضية

الجزر وهو يخاطب الشاه بالفارسية في مطار طهران! بالطبع، لم يشأ المسؤول الكويتي ان يتهم الدول العربية بالتخلي عن جزر مضيق هرمز، لكن في كلامه ما يعني ان الكويت نفسها لم تر حتى الآن ردود فعل صريحة وواضحة بالنسبة الى هذه القضية.

اما عن عرض قضية الجزر على الجامعة العربية والمؤتمرات المتفرعة عنها فقال: ان القضية تعتبر في حكم المنتهية، بقي شهر أو شهر ونصف الشهر على موعد الانسحاب البريطاني. وايران اعلنت صراحة بلسان الشاه ورئيس وزرائه ووزير خارجيته السابق ومستشاره الخاص الآن السيد اردشير زاهدي انها ستستولي على الجزر بالقوة فور انسحاب البريطانيين. إذاً يمكن القول ان العرب، ولو قرروا الاجتماع لدرس القضية، سيجدون ان قطار الزمن فاتهم وان القضية المطروحة للبحث اصبحت ماضياً. واستطرد: ثم ماذا يمكن بعض العرب ان يفعل غير القاء الخطب واطلاق التصريحات واصدار البيانات ومن ثم الدخول في حرب اذاعية، كما كانت الحال على ارض فلسطين؟!

وعود الى الساحل المتصالح.

في الشارقة قال الشيخ خالد بن محمد القاسمي انه أعلن في مؤتمر شعبي عن عرض لوس «بيع» جزيرة ابو موسى لايران، وانه لا يمكنه التنازل عن الجزيرة التي يعتبرها «ملكاً للأمة العربية». وناشد الشيخ خالد الدول العربية «اتخاذ موقف موحد إزاء قضية الجزر». وكشفت صحيفة «الخليج» التي تصدر في الشارقة ان الشيخ خالد ارسل مذكرات الى الدول العربية يشرح فيها قضية الخلاف مع إيران وان ٤ دول فقط ردت على هذه المذكرة. وتساءلت الصحيفة هل كانت ثمة «غلاسبورو» عربية ـ ايرانية انتهت بمقايضة: إيران تتنازل عن المطالبة بالبحرين في مقابل تنازل العرب عن جزيرة ابو موسى؟

ما قاله المسؤول الكويتي الكبير وما عرضه لوس وما قررته الدول العربية يظهر كأن قضية الجزر انتهت لمصلحة ايران.

بقيت قصة.

دولة الإمارات العربية المتحدة في الساحل المتصالح لن تقوم رسمياً قبل الانسحاب البريطاني وقبل تصفية قضية الجزر ـ ولو ايرانياً ـ لأن بريطانيا افهمت عرب الساحل انها ليست مستعدة لمواجهة القوات الايرانية إذا غزت الجزر، ولذلك نصحت بتأجيل اعلان دولة الامارات الى ما بعد الانسحاب لئلا تكون هناك مواجهة. آخر التطورات كان تمركز عدد من القطع البحرية البريطانية في دبي لعرض العضلات في الساحل المتصالح وفي مضيق هرمز. لكنه عرض مؤقت حتى يحين موعد الانسحاب الكامل... وبعده يكون لكل حادث حديث.

الفصل الثامن

البيان الرسمي للتسوية[1]

.. ثم انتهت قضية جزيرة ابو موسى باتفاق رسمي بين إيران وامارة الشارقة.. وهذا نص البيان:

تم اليوم تذليل آخر عقبة كانت تقف في وجه اعلان دولة الامارات العربية المتحدة في الساحل المتصالح، فأذيع نص الاتفاق الذي كانت نشرته «النهار» قبل ثلاثة أيام ويقضي بأن يتم تقاسم جزيرة أبو موسى بين الشارقة وإيران.

وفي المساء أعلن الشيخ خالد بن محمد القاسمي حاكم إمارة الشارقة تسوية نزاعه مع إيران وقال ان الشارقة ستحتفظ بحق السيادة على الجزيرة ويرفع عليها علمها، وفي الوقت نفسه كانت القوات الايرانية تستعد لاحتلال المواقع الاستراتيجية التي نص الاتفاق على ان تحتلها.

وقال حاكم الشارقة ان الاتفاق النهائي والرسمي بين إيران والشارقة شمل نقطتين آخريين:

١ ـ ان تمنح شركة «بيتس بيتروليوم كومباني» امتيازاً للتنقيب عن النفط والغاز على بعد ١٢ ميلاً بحرياً من جزيرة ابو موسى،

(١) «النهار» في ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٧١.

وفي حال اكتشاف النفط في هذه المنطقة فإن الشارقة وإيران ستتقاسمان الارباح.

٢ـ ان تقدم ايران مليوناً و ٥٠٠ ألف جنيه استرليني كمساعدات الى حكومة الشارقة خلال تسع سنوات. وستنتهي هذه المساعدات لمجرد ان تصل عائدات النفط الى ثلاثة ملايين جنيه استرليني سنوياً.

وذكر بيان الشيخ خالد الذي اذاعه راديو الشارقة انه تمت الموافقة على هذا الاتفاق بين إيران والشارقة، كما ان الاتفاق عبّر عن إرادة شعب الشارقة.

ويجيء هذا البيان الرسمي قبل ثلاثة أيام من اعلان دولة الامارات العربية المتحدة حتى لا تكون الدولة الجديدة على خلاف مع أي دولة خليجية كبرى في المنطقة.

ومن المقرر ان يجتمع قبل ظهر الخميس حكام امارات ابو ظبي ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين والفجيرة ليوقع كل منهم على حدة اتفاق انهاء الحماية البريطانية مع السير جيفري آرثر المعتمد للخليج العربي، وليتم بعد ذلك توقيع معاهدة صداقة بين دولة الامارات العربية المتحدة وبريطانيا. وكان الشرط الاساسي لاعلان هذه الدولة انهاء الخلاف مع إيران. وكان السير وليم لوس الممثل الشخصي لوزير الخارجية البريطانية توصل الى توقيع الاتفاق في شأنه مع ايران، واقنع الشارقة بقبوله.

بقيت قضية قاعدة المرقاب في الشارقة والتي تقرر ان تتحول الى قاعدة لقوة دفاع دولة الاتحاد، على ان تقيم فيها كتيبة بريطانية للتدريب، فيما تسلم قاعدة الطيران المدني الى شركة (T.W.A) الاميركية لتكون أكبر محطة صيانة للطائرات في منطقة الخليج.

وكانت أبو ظبي انهت احتفالاتها مساء اليوم بعيد جلوس الشيخ

زايـد بن سلطان آل نهيـان، على ان تبـدأ بعد يومين احتفالاتها بإعلان دولة الامارات العربية المتحدة التي بات من المقرر ان يكون الشيخ زايد رئيساً لها، على ان يكون الشيخ مكتوم بن راشد المكتوم رئيساً للحكومة الاتحادية.

الفصل التاسع

اغتيال خالد القاسمي[1]

في غمرة الاحتفالات بقيام الدولة الجديدة و«همروجة» احتلال ايران للجزر الثلاث، وقع الحادث الدامي في إمارة الشارقة: اغتيال حاكمها الشيخ خالد بن محمد القاسمي.

الثأر الثأر من المجرمين، «لوين يا بو فيصل»، «وينك يا عمي خالد».. نداءات كانت تنطلق بين عويل النساء وصراخهن، حيث احتشد الألوف من ابناء الشارقة وامارات الساحل المتصالح على المقبرة الرملية في الشارقة التي شهدت أول محاولة انقلابية دموية في تاريخ المنطقة. خمسة نعوش لفتها اعلام الامارة الحمراء والبيضاء وتوزعت في مكانين متباعدين، الأول دفن فيه جثمان الحاكم الشيخ خالد بن محمد القاسمي، والآخر دفنت فيه جثث أربعة من مرافقيه قتلوا معه داخل القصر، بعدما اقتحمه ستة وعشرون مسلحاً بقيادة الحاكم الذي خلعه البريطانيون في العام ١٩٦٥ الشيخ صقر بن سلطان القاسمي وابنه سلطان وقاسمي ثالث و ٢٣ بدوياً جيء بهم من الصحراء. بعد انتهاء مراسم الدفن تقبل الحاكم الجديد الشيخ سلطان بن محمد التعازي والى جانبه رئيس دولة الامارات العربية المتحدة الشيخ

(١) «النهار» في ٢٧ كانون الثاني/ يناير عام ١٩٧٢.

زايد بن سلطان آل نهيان ونائبه حاكم دبي الشيخ راشد بن سعيد المكتوم وحاكم عجمان ووليا العهد في الفجيرة وام القيوين. أما رأس الخيمة فاكتفى حاكمها وهو ابن عم الحاكم القتيل بإرسال أحد انجاله.

الثأر الثأر.. لكن الذين طالبت النداءات بأن يثأر منهم نقلوا سراً في طائرة حربية الى ابو ظبي وهناك تولّت التحقيق معهم لجنة برئاسة وزير الداخلية الاتحادي. قصة الانقلاب لم يعد فيها جديد باستثناء ان هوية ابطاله عرفت، وأن الشكوك تتناول اليوم أكثر من جهة. مع الحاكم السابق الشيخ صقر بن سلطان كان ابنه سلطان والشيخ عبد العزيز بن حميد الذي كان بينه وبين الشيخ خالد خلاف قديم غادر على أثره الشارقة وأقام مدة في رأس الخيمة. رابع زعماء المحاولة هو سيف رحمة الشامي، الذي اتهم بوضع القنبلة الموقوتة في مقر الحاكم قبل ثمانية عشر شهراً، وهرب الى مصر ومنها الى لبنان حيث أمضى نحو سبعة اشهر، رفضت السلطات اللبنانية تسليمه الى الشارقة بحجة ان ليس بين البلدين اتفاق قضائي. الخامس المعروف هو احد مديري المدرسة الصناعية ويقال ان له ميولاً ماركسية. سلاح المحاولة كان رشيشات كلاشينكوف وبورسعيد، أي ان النوع عرف من دون ان يعرف المصدر.

هل هم الظفاريون، ام اليمنيون الجنوبيون، ام عناصر يقال انها اليوم تتعاون الى أقصى الحدود مع رأس الخيمة؟ وتزداد التساؤلات: كيف اتى زعيم المحاولة؟ في المدة الاخيرة كان في بيروت. إذا كانت مسقط طريق عودته، فالطائرات الى مسقط عبر الخليج تمر في أكثر من امارة، آخرها دبي. وكيف وصل من رأس الخيمة ما لم يكن مرّ في الطريق الساحلية عبر أم القيوين وعجمان؟ اسرار كثيفة لا تزال تقف حائرة أمام علامات الاستفهام. الجديد أن دولة الامارات، خصوصاً رئيسها، تصرفت بحزم. كان الدافع الى الحزم

الماضي القريب في اليمن الجنوبية حيث انهار السلاطين واحداً بعد آخر، وانهار اتحادهم امام عمليات يائسة كعملية الشارقة.

الشيـخ زايـد بن سلطان عندما علم بالحادث من سفير الكويت الجديد في دولة الامارات الشيخ بدر الصباح، بعد نصف ساعة من حصوله، أمر القوات الاتحادية بالزحف. والفضل في الابقاء على النظام في الامارة، حتى وصول هذه القوات، يعود الى شقيق الحاكم القتيل قائد الشرطة الشيخ صقر بن محمد، الذي شعر بالحركة فور اقتحـام السيارات الثلاث بمسلحيها القصر، فأخذ يتبادل معهم الرماية من منزله المواجه لقصر الحاكم ثم استدعى الشرطة. تفسير فضل الشيخ صقر ان الانقلابيين كانوا يتوقعون بعد قتلهم الحاكم ومرافقيه فور اعتقالهم وصول امدادات ومسلحين لأن العملية، كما ثبت الى الآن، اكبر من أن تكون فردية وشخصية. كما ان الشيخ صقر بصموده قوي معنويات جنود كشافة عُمان السابقة الذين أتـوا من قاعـدة المـرقـاب، وتبلبل موقفهم بعد إصابة ضابطهم البريطاني برصاصة ونقله الى المستشفى.

بقي المـوقف غامضـاً من الثـانية والنصف بعد ظهر الاثنين الى منتصف الليـل. كبير قبيلة القواسم طلب مقابلة الحاكم الاسير، وعندما عرف انه قتل رفض مبدأ التحكيم الذي عرضـه الشيـخ صقر بن سلطـان، وقد ثبت الى الآن ان الشيخ صقر قتل ابن عمه فور دخوله القصر. وطلب حاكم دبي الشيـخ راشد المكتوم الافراج عن الشيخ خالد فـأبلغ انه وقـع تنازلاً وانه جريح. عندما شعر رئيس دولة الامـارات بأن انهيـار نظام الشارقة يعني انهيار الاتحاد، أرسل جنود قوات دفاع ابو ظبي بالطائرات والمصفحات مع أوامر بتهديم القصر على من فيه إذا لم يستسلم الانقلابيون.. وكان ان استسلموا.

قتل الشيخ خالد لأنه لم يكن يحمل في قصره رشيشاً. عندما شعر

بوصول الانقلابيين كان في وسعه ان ينتظر في مطلع السلم المؤدية الى غرف النوم. لكنه كان مسالماً فترك غرفة النوم الى غرفة الملابس واقفل الباب من الداخل وأجرى اتصالاً هاتفياً مع حاكم دبي. ومزق الانقلابيون قفل الباب بالرصاص وقتلوا الحاكم برصاصة اصابته في قلبه، ثم قتلوا الاربعة الآخرين بعدما اصابوا شرطياً توفي بعد الحادث بثلاثة أيام. المصابون الاحياء الى الآن هم ضابط بريطاني وثلاثة من جنود القوات الاتحادية وشرطة الشارقة. اما الانقلابيون فلم يصب احد منهم. وقد حاور الانقلابيون طويلاً وناوروا مع ادعائهم خلال الاتصالات الهاتفية ان حاكم الشارقة حي يرزق. وكان خوف المدافعين على أولاد الشيخ، خصوصاً كبيرهم فيصل الذي كان داخل القصر. لكنه بقي رهينة حتى ساعة الاستسلام.

من اسرار المحاولة ان دولة الكويت كانت أول من علم بالحادث. بعد منتصف ليل الاثنين طلبت الخارجية الكويتية سفيرها في دولة الامارات لتكلفه التوسط لفك الحصار. لكن المسؤول عن المخابرات الخارجية في هاتف دبي ابلغ الوزارة ان هاتف السفير لا يجيب مع أن السفير كان قرب الهاتف ينتظر من وزارته مثل هذا التكليف. مصير الشيخ صقر بن سلطان متروك الآن للتحقيق. هل يعدم وهو الذي قتل الشيخ خالد باعترافه وباعتراف من كانوا معه؟ هل ينفى الى الخارج حتى لا يسبب اعدامه انقسامات جديدة في قبيلة القواسم ويترك مضاعفات جديدة على الصحراء الملتهبة؟ المنفى اين؟ أي بلد عربي يسمح للشيخ صقر بالاقامة فيه بعد اليوم؟

والتحقيق الذي يلاحقه شيوخ الامارات لا يريد رأس الشيخ صقر بقدر ما يريد معرفة الجهة التي ساعدته ومولته ومدته بالاسلحة والألبسة العسكرية التي ارتداها اربعة وعشرون شخصاً رافقوه.

التوقعات اليوم ان امارة القواسم الاخرى، رأس الخيمة، قد تشهد

هي الأخرى حوادث جديدة تكون ردة فعل للقواسم الذين كانوا يوالون الحاكم القتيل. من هذه التوقعات ان دولة الامارات تمهد لانقلاب ابيض في الامارة ينتهي بتعيين حاكم بديل للشيخ صقر بن محمد القاسمي يقدم طلباً للانضمام الى دولة الامارات فيقبل فوراً. ويبدو ان حاكم رأس الخيمة يسعى الى تفجير دولة الامارات لمصلحة جهات لم تعرف.. وان يكن الشائع ان ثمة دولتين عربيتين كان لهما موقف متطرف من قضية جزر مضيق هرمز هما وراء تصرفات رأس الخيمة. والوقت سباق الآن: بين دولة الامارات الغنية والقوية جيشاً ومعدات، وحاكم رأس الخيمة المناور الذي طلب مرات عدة من رئيس دولة الامارات وقت حصار القصر الابيض في الشارقة الا تسيل الدماء، لأنه لم يكن يعرف بعد ان ابن عمه الحاكم سال دمه.

الفصل العاشر

القواسم وأمن الخليج(١)

القواسم كانوا قوة قتالية (بحرية) في الخليج، وبحجة وجودهم وقوتهم وضعت بريطانيا يدها على الساحل المتصالح، وبقوا بعد رحيلها قوة لا يستهان بها وخلافاتهم تهدد دائماً أمن المنطقة. في وقفة الاضحى ـ عيد التضحية ـ قتل الشيخ خالد بن محمد القاسمي حاكم الشارقة.

يوم اعلان دولة الامارات العربية المتحدة وبعد احتلال جزر مضيق هرمز، بدأ العرب، من المحيط الى الخليج، يفتشون عن كبش يفدي تفككهم ويغطي هزيمتهم الثالثة أو الرابعة في القرن العشرين، واتجهت انظار بعضهم الى الشيخ خالد ليكون هذا الكبش باعتباره «باع» جزيرة أبو موسى للايرانيين، وان شقيقه الشيخ صقر بن محمد المسؤول عن قوى الأمن استقبل الاميرال الايراني في الجزيرة. وعشية اعلان دولة الامارات تلقى الشيخ صقر رصاصة في كتفه، لكن اصابته كانت طفيفة. وقبل ١٨ شهراً كان الشيخ خالد نفسه تعرض لمحاولة اغتيال بواسطة قنبلة موقوتة وضعت في قصره.

مات الشيخ خالد مع اربعة من مرافقيه يوم وقفة الاضحى فكانوا اكباش الفداء.. فداء من؟ لكن الوفود التي طافت امارات الساحل

(١) «النهار» في ٢٥ كانون الثاني/ يناير عام ١٩٧٢.

المتصالح بعد الضجة العربية على الاحتلال الايراني عادت من زياراتها للشيخ خالد مقتنعة بموقفه. الوفد العراقي برئاسة الوزير الدكتور عبد الستار الجواري جاء يعاقب حاكم الشارقة على عقده الاتفاق مع إيران، وكان جواب الشيخ خالد، وفي حضوري:

ـ تصفنني اذاعتكم بالعميل والخائن لأنني وقعت الاتفاق مع إيران، لكنكم صمتم يوم استنجدت بكم وبجميع العرب. ارسلت مذكرات الى كل الدول العربية قبل أشهر اشرح فيها الوضع مؤكداً ان إيران جادة في تهديداتها، وبانها ستحتل جزر الطمب الكبرى والطمب الصغرى وأبو موسى. وارفقت هذه المذكرات بأخرى تؤكد عروبة الجزر مع تساؤلي: ماذا أفعل يا عرب؟

الشارقة لا تزال بحكم الاتفاق مع بريطانيا خاضعة لحمايتها. القوة الوحيدة في الساحل المتصالح بقيادة ضباط بريطانيين وخاضعة لارادة بريطانيا. قوة الشارقة من الشرطة لا تكفي لمجابهة سرية ايرانية فكيف بالاسطول؟ واقترحت مذكرات الشيخ خالد تعريب قضية الجزر بحيث تواجه ايران، إذا نفذت الاحتلال، العالم العربي كله. لم يرد احد على هذه المذكرات. تفهم الوفد العراقي الوضع وصافح اعضاؤه الشيخ خالد مع التأكيد بأن العراق سيطرح الموضوع على مجلس الجامعة العربية لأتخاذ تدابير في مستوى القضية، لكن مجلس الجامعة لم يتخذ أي قرار في انتظار استقصاءات الأمين العام السيد عبد الخالق حسونة الذي أوفد الأمين العام المساعد الدكتور سليم اليافي، وانتهت القضية، عربياً، عند هذا الحد. الوفد الليبي برئاسة الرائد عبد السلام جلود كان له الموقف نفسه، مع التطوع بإرسال «فدائيين». وافق الشيخ خالد لكن الفدائيين لم يصلوا، وإذا وصلوا فكيف يمكنهم الوصول الى جزيرة يحتلها اسطول مع العشرات من طائرات الهليكوبتر، وتبعد عن الشاطىء العربي من الخليج نحو ٥ ساعات في المراكب ذات المحركات.

برغم هذا التفهم بقي الشـك عربيـاً في موقف حاكم الشـارقـة، خصوصاً ان ابن عمه الشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم رأس الخيمة أضفى على نفسه دوراً بطولياً حينما قاوم ستة من رجال شرطته (عمانيو الاصل) الايرانيين في الطمب الكبرى. وقتل منهم واحد (لا ستة كما ذكر من قبل) وأسر الباقون.

وصباح يوم عيد الاضحى يستقبل العرب خبراً من جزء بعيد في وطنهم الكبير: مات حاكم.. فليعش الحاكم الجديد.

قبـل نحو شهرين مختار التوم الشاب السوداني المثقف ورئيس بلديـة الشارقة قال لي: انهم يريدون الشيخ خالد كبش الفداء. وتحققت النبوءة.

نحـو الساعة الثانية بعد ظهر أمس الاثنين هاجمت قوة مسلحة (٢٠ بدوياً) في سيارتين قصر الشيخ خالد بن محمد القاسمي في الشـارقة (العاصمة). القوة كانت بقيادة ابن عم الحاكم الشيخ صقر بن سلطان القاسمي الحاكم السابق الذي خلعه البريطانيون عام ١٩٦٥. جاءت السيارتان من طريق عمان عبر رأس الخيمة.. وتقول مصادر مطلعة ان الشيخ صقر كان طول الاسبوع الماضي في عُمان، ولم يعرف إذا كان ذلك بإرادة السلطان قابوس بن سعيد او من دون ارادته. ويذكر ان الشيخ صقر كان يقيم في القاهرة منذ خلعه، وشوهد خلال الاشهر الثلاثة الاخيرة في بيروت متنقلاً بين مقاهي شارع الحمراء ومحلة الروشة.

عنـدمـا دخل المسلحون الى القصر بقيادة الشيخ صقر، اعتقلوا الشيخ خالد ومن معه من مرافقين واحتجزوهم في احدى الغرف. على الفـور عرف شقيق الحاكم الشيخ صقر بن محمد القاسمي المسؤول عن قوى الأمن والشرطة بالأمر، فطوق مع رجاله القصر ومن فيـه. واتصل الشيخ سلطان بن محمد نائب الحاكم الشيخ خالد وشقيقه الثاني بالشيخ محمد بن راشد المكتوم (النجل الثاني

لحاكم دبي) ووزير الدفاع في دولة الامارات وابلغه الأمر، وطلب ارسال نجدة من القوات الاتحادية (كشافة عُمان سابقاً التي مقرها قاعدة الشارقة العسكرية التي كانت ترابط فيها القوات البريطانية).

زعيم الانقلابيين وقائدهم الشيخ صقر بن سلطان اتصل ايضاً بالشيخ محمد بن راشد المكتوم وطلب منه عدم التدخل وسحب القوات الاتحادية التي كانت وصلت وطوقت القصر، باعتبار ان الانقلاب حدث عائلي لا علاقة له بالسياسة ولا بالاتحاد ودولة الامارات. لكن القوات الاتحادية توجهت لمحاصرة القصر وهي مزودة بمدرعات من نوع صلاح الدين.

في الوقت نفسه كانت الاتصالات تجري على مستوى قبيلة القواسم في الشارقة ورأس الخيمة ودبي. وجيء بكبير القواسم والد الشيخ فيصل القاسمي الذي يشغل الآن منصب وكيل وزارة الدفاع في إمارة ابو ظبي للتحكيم.

وتم شبه اتفاق بين القواسم على اجراء استفتاء شعبي في اليوم التالي (اليوم) بالنسبة الى حاكمية الامارة. شرط الاستفتاء ان يتم اختيار احد ثلاثة لحاكمية الامارة: الحاكم الشيخ خالد المعتقل نفسه، الشيخ صقر بن سلطان زعيم الانقلاب أو شخص قاسمي ثالث.

الشرط الثاني نص على ان يسمح للشيخ صقر بالاقامة في الامارة حتى ولو لم يتم اختياره حاكماً، وان يسمح للشيخ خالد نفسه بالبقاء في الشارقة حتى ولو تم الاتفاق على عزله. في وسط المداولات والاتفاقات والشروط، كانت القوات الاتحادية المحاصرة تطالب الانقلابيين بإطلاق الشيخ خالد الحاكم مسبقا لتنفيذ شرط الاستفتاء. اثناء ذلك، لسبب ما، جرى تبادل اطلاق رصاص، مما دفع الجيش الاتحادي الى اقتحام القصر والقبض على البدو

المسلحين وزعيم الانقلابيين الشيخ صقر.. لكن الاقتحام جاء متأخراً، ففي احدى الغرف كان الشيخ خالد واربعة من مرافقيه قتلى بالرصاص. وتأكد مقتل احد الحراس البدو واصابة اربعة من رجال الشرطة، واحد الضباط البريطانيين.

وكان المتمردون قبل استسلامهم يأملون في أن يحصلوا على تأييد من مدينة الشارقة نفسها. لكن على العكس من ذلك جاء التأييد للانقلاب المضاد الذي قاده اخو الحاكم، وهو نائبه ورئيس جهاز الأمن. والقيت قنابل يدوية على مبنى الحراسات اثناء الهجوم المفاجىء على القصر أمس. وأعلن منع التجول بشكل جزئي في الشارقة اليوم وسيطرت قوات الأمن على الوضع سيطرة تامة. ويذكر ان الحاكم القتيل كان تعرض لمحاولة اغتيال سابقة عن طريق قنبلة موقوتة وضعت في مجلسه (في تموز/ يوليو ١٩٧١) نجا منها بأعجوبة. نتيجة لذلك اعتقل الشقيق الثالث للحاكم الشيخ عبد العزيز بن محمد الذي اتهم بأنه كان وراء المحاولة بالاشتراك مع الشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم رأس الخيمة.

وقرر المجلس الاتحادي الاعلى لدولة الامارات الذي اجتمع ظهر اليوم في دبي برئاسة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الاتحاد، في بيان رسمي تسمية الشيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكماً على الشارقة، محل اخيه القتيل. والحاكم الجديد (٣٥ سنة) خريج كلية الزراعة في القاهرة، كان يشغل منصب وزير التربية في أول وزارة لدولة الاتحاد التي تألفت في ١٩ كانون الاول/ ديسمبر الماضي برئاسة الشيخ مكتوم بن راشد المكتوم. وستشيع جنازة الحاكم الحالي بعد ظهر غد رسمياً في حضور حكام الامارات الخمس الاعضاء في دولة الاتحاد. وسيعلن الحداد رسمياً مدة سبعة أيام. وستظل الاعلام منكسة أربعين يوماً. كما انه ألغيت الاحتفالات الرسمية لمناسبة عيد الاضحى. كما أمر المجلس الاعلى بإجراء تحقيق فوري وسريع مع «المتآمرين» بإشراف وزير

الداخلية. وسيتخذ المجلس الأعلى «الاجراءات المناسبة دفاعاً عن الاتحاد».

ومعروف ان زعيم الانقلاب الدموي الفاشل الشيخ صقر الحاكم السابق شاعر وأديب، وتدين له قبائل البدو في الامارة بالولاء باعتباره الحاكم الشرعي (برغم خلعه) ولأنه نجل الشيخ سلطان أكبر زعماء القواسم في القرن العشرين. أما ابن عمه الحاكم القتيل فهو في الخامسة والاربعين من عمره، دمث الاخلاق متفهم للتطورات الاجتماعية والسياسية، كان صاحباً لاحدى الشركات التجارية الكبرى في دبي قبل اختياره حاكماً.

وللشيخ خالد فضل كبير على الشارقة. تسلم الحكم والشارقة قرية صحراوية صغيرة، فحولها خلال ٧ سنوات الى مدينة كبرى بشوارعها وساحاتها ونوافيرها (حتى سميت امارة النوافير). وسعى الى فتح عشرات المصانع وفروع المصارف الكبرى فيها، وأنشأ مطاراً ومرفأً كبيرين برغم قلة ايراداته وعدم اكتشاف النفط في امارته، مع ان المراقبين يقولون بوجود النفط لكن عدم استخراجه كان بإرادة اميركية ـ بريطانية لاسباب سياسية. مات الشيخ خالد وجاء شقيقه حاكماً.. وماذا بعد؟

الفصل الحادي عشر

الشهر الطويل[1]

مع اعلان الاستقلال بدأ الشهر الطويل للدولة. توجه الى العالم طلباً للاعتراف.. وبلبلة، منها الخلافات على الحدود بين الامارات التي صارت متحدة:

لأيام قليلة خلت، توجه الى نيويورك اول وفد رسمي من حكومة ابو ظبي لاجراء لقاءات مع الوفود الى الجمعية العمومية للأمم المتحدة. تراس الوفد وزير الدولة لشؤون الرئاسة السيد احمد خليفة السويدي وضم وزير الدولة للشؤون المالية السيد محمد الحبروش ووزير الدولة للشؤون الخارجية الدكتور عدنان الباجهجي. وسافر مع الوفد عدد من المستشارين الذين يعملون في دائرة الخارجية في الديوان الاميري.

عن السفر قال مسؤول ظبياني لـ «النهار» انه «بروفة». «بروفة» لماذا؟ عملية تعارف مع الوفود ومع المسؤولين عن هذه الوفود ومعظمهم يتولى منصب وزارة الخارجية. وبعد التعارف، حضور جلسات الجمعية العمومية والمشاركة، ولو كمراقبين في اعمال المنظمة الدولية. ومن ثم مباحثة الوفود في قرب اعلان دولة الامارات العربية المتحدة وبالتالي طلب انضمامها الى الأمم المتحدة.

على هامش هذه المهمة سيشترك الوفد في اجتماعات حكام صندوق

(١) «النهار» في ٧ شباط/ فبراير عام ١٩٧٢.

النقـد الدولي. بهـذه المهمـة تشعـر دولة الامـارات في الساحل المتصالح بانها أدت قسطها للعلى، ولا يبقى سوى اعلانها دولة ذات سيـادة من حقها ان تنضم الى الاسرة الدولية بعد ضمان انضمامها الى جامعة الدول العربية. احمد خليفة السويدي الذي يعود من نيويورك خلال أيام يكون قد أنهى اطول شهر له في التاريخ.

دولة الامارات تتميز عن غيرها من الدول في منطقة الخليج العربي بأنهـا الدولة الاتحـاديـة الوحيدة التي، الى جانب متاعبها على الصعيدين العربي والدولي، لها متاعب داخلية وخليجية قاست ولا تزال تقـاسي منها. وهي، بسبب معاناتها، تشعر، وهي تمشي على دروب الاستقلال، كأنها تمشي على بيض أو على الاشواك. تدفع ضريبـة الحساسيات القبلية وضريبة انياب المطامع التي تتدافع عبر الصحراء الى الواحات، والى مياه الخليج الدافئة من الشقيقة الكبرى عبر الربع الخالي.

تبـدأ الحكاية بعد الطنة والرنة اللتين رافقتا إعلان قيام الدولة الاتحادية من امارات ابوظبي ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين والفجيرة. بالديبلوماسية والمرونة اللتين استخدمهما حاكم ابوظبي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان أمكن التغلب على الخلاف بين امارتي الشارقة وأم القيوين على ما ينتظر ان يكون تجمعات للنفط بدأت الشركات التنقيب عنه منذ اشهر، وكل امارة تدعي ان هذه التجمعات تقع في نطاقها. والأرض في الساحل المتصالح متداخلة ومتشابكة، بحيث ان ارض الشارقة تلتف حول ام القيوين فتكاد تبتلعهـا، كمـا انهـا تقفز فوق أراضي سلطنة عمان الى الساحل الشرقي ليكـون لها مواقع منها خورفكان. الذين تولوا مسؤولية الاشراف على المنطقة طوال مئتي سنة، أرادوا قبل ان ينسحبوا منها ان يكون لكل امارة في الامارة الاخرى أكثر من مسمار لجحا حتى

يكون للوسيط مبرر للتدخل، وحتى يكون استدعاؤه كلما قام خلاف ممكناً بصفته خبيراً ولو لم يكن الخبير المحلف.

تجاوز الشيخ زايد بن سلطان هذا الخلاف كما تمكن من جمع شيوخ القواسم المختلفين برغم القرابة، وفشل في اقناع الشيخ القاسمي صقر بن محمد حاكم رأس الخيمة لاسباب تتعدى الحاكمين معاً. هذه الديبلوماسية المرنة التي نجحت في الساحل لا تزال تلاقي بعض الصد خارج الحدود.

عندما بدأ الوزير احمد خليفة السويدي جولته مع السيد مهدي التاجر مستشار حاكم دبي الشيخ راشد بن سعيد المكتوم، تقرر ان تكون الطائف هي الميناء الاول. ويتحدث المراقبون عن رحلة فوق الربع الخالي والمنطقة الشرقية الى الطائف. فوق المصيف الملكي لاحظ الطيار ان المستقبلين لم يصلوا بعد، فبقي يحوم نحو ربع ساعة فوق المنطقة حتى لاحظ السيارات الفارهة تعبر ساحة المطار الى صالون الشرف. وحطت الطائرة وكان الاستقبال والتقبيل بالخشم (الانف). توجه الوفد الثنائي الى قصر الملك حيث كان الاستقبال لائقاً والحديث ودياً وكلمات بأمان الله.. وبرعاية الله.

بعد الملك كان للوفد حديث مع الامير نواف بن عبد العزيز المستشار الخاص للملك، وكان الحديث ايضاً ودياً والتمنيات بتوفيق دولة امارات الساحل.. مع التحفظات. والتحفظات معروفة، أهمها الخلاف بين السعودية وأبو ظبي على الواحات، ولا سيما البريمي. وكان من المنتظر ان يمضي الوفد ليلته في الطائف، ،لكنه حمل حقائبه التي كانت لا تزال محزومة وعاد الى ابو ظبي.

بداية رحلة الشهر الطويل بالنسبة الى أحمد خليفة السويدي لم تكن سلبية، كما انها لم تكن ايجابية، لكن دولة الامارات التي قامت كان لا بد ان تقوم أياً تكن التحفظات. ان كانت البداية بين بين.. فمسيرة الشهر كانت كلها ايجابية.

الوفد الذي ترأسه وزير الاعلام والسياحة الشيخ احمد بن حامد لاقى تجـاوباً في قطر والبحرين والكويت وبيروت ودمشق وعمان. ووكيل وزارة الاعلام السيد راشد عبد الله لاقى تجاوباً في صنعاء وعاد برد تأييدي على رسالة حاكم ابو ظبي. ووزير النفط والصناعة السيد مانع بن سعيد العتيبة الذي زار امارة رأس الخيمة تمكن من اقناع حاكمها الشيخ صقر القاسمي بالعدول عن تفرده، وعاد الى ابـو ظبي بوعـد منـه بالانضمـام الى دولة الامارات، فيكون الاتحاد سباعياً لا سداسياً. والزيارة للقاهرة والخرطوم وطرابلس الغرب وتونس والرباط كانت ناجحة.

عربياً وخليجياً، كانت رحلة الشهر الطويل، إذاً، ناجحة باستثناء التحفـظ السعـودي. تبقى القصـة مع إيران والخلاف على جزر مضيق هرمـز. هل تنسف الجـزر الاتحـاد وتهدد أمن المنطقة؟ مسؤول اتحادي قال:

لا.. وجدنا الحل لقضية الجزر بجعلها قضية عربية.. وعلى إيران ان تتصرف في إطار كهذا.

الفصل الثاني عشر

مسلسلات انقلابية[1]

ما زالت احداث الشارقة تسيطر على المنطقة وزادتها عبوساً محاولة تغلغل سوفياتي: أبو ظبي عينها على الخارج وقلبها على دولة الامارات العربية المتحدة.

داخل ابو ظبي سليم. لكن الامارة التي حققت انجازات كبيرة خلال ٦ سنوات، هي سنوات حكم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، تعاني الكثير من المشكلات مع الخارج، أو مع الجيران في الأصح. أولى مشكلاتها مع السعودية. المشكلة حول البريمي وواحاتها وجزء كبير من الصحراء مشكلة مزمنة، يفتح سجلها بين الحين والآخر لكن بتكتم ومن دون ضجة ومن دون التوصل الى خيط مهما كان رفيعاً يدل على امكان ايجاد حل. عدم الامساك بطرف الخيط حال الى الآن دون اعتراف السعودية اعترافاً كاملاً بقيام دولة الامارات ودون تبادل التمثيل الديبلوماسي. حتى ان الشيخ عبد الله الفضل مدير مكتب السعودية في دبي وامارات الساحل المتصالح ما زال مديراً للمكتب، ولم يقدم اوراقه كقائم بالاعمال أو سفير كما سبق ان فعل مدير مكتب الكويت الشيخ بدر محمد الأحمد الصباح، أو كما سبق للسعودية ان فعلت مع دولتي قطر والبحرين. والشيخ عبد الله الفضل، برغم كون مكتبه في دبي، الا

---

(١) «النهار» في ١٠ آذار/ مارس عام ١٩٧٢.

انه يمضي أكثر اوقاته في أبو ظبي يقابل الحاكم وكبار المسؤولين، لا يقطع شعرة معاوية ولا يوقف الحوار، لكن الشعرة طرفها الآخر في يد مجهولة والحوار حوار طرشان. قصة قديمة وستزداد قدماً لأن الحلول ليست في الأفق. وبين البلدين الآن قصة جديدة، هي قصة تبادل التمثيل بين دولة الامارات والاتحاد السوفياتي برغم التمني السعودي عدم قبول ابو ظبي بمثل هذا التمثيل.

القصة، كما رواها مسؤول كبير في ابو ظبي، تعود الى تأخر السعودية في «لفت الانتباه» و«ابداء الرغبة»، وكون دولة الامارات دولة جديدة تريد ان تنطلق في الميدانين العربي والدولي من دون عقد، والتعامل مع كل دول العالم على قدم المساواة مع الاخذ في الاعتبار واقعها الاجتماعي وظروفها وعلاقاتها بالسعودية والارتباط العضوي بها، وكونها جارة كبرى لها حق النصح بما لها من مكانة وخبرة سياسية دولية. لماذا كانت القصة ولماذا كان الخلاف؟

في المعلومات التي يرويها الديبلوماسيون في ابو ظبي، انه عندما قدمت دولة الامارات طلب الانضمام الى الامم المتحدة كان الاتحاد السوفياتي في مقدمة الدول التي ساندت الطلب. ويروى ان حكومتي العراق واليمن الجنوبية حاولتا اقناع موسكو برفض الطلب، ولو أدى الأمر الى استعمال الفيتو، لكن موسكو رفضت تمني حكومتي بغداد وعدن وساندت دولة الامارات شرط قبول تبادل الاعتراف والتمثيل الديبلوماسي. ويوم كان وزير الدولة للشؤون المالية في حكومة ابو ظبي ووزير الدولة لشؤون الاتحاد في دولة الامارات السيد محمد الحبروش يقدم طلب الانضمام الى جامعة الدول العربية في القاهرة، جاءته عن طريق السفارة السوفياتية هناك برقية من الرئيس السوفياتي بودغورني موجهة الى الشيخ زايد بصفته رئيساً لدولة الامارات. واستقبل الحبروش احد كبار موظفي السفارة الذي نقل اليه نص البرقية والتمني السوفياتي السماح لوفد تجاري وآخر ديبلوماسي بزيارة دولة

الامارات، واجراء اتصالات الهدف منها تنسيق العلاقات على كل الاصعدة. واتصل الحبروش بحكومته فكان القبول بزيارة الوفدين السوفياتيين. ومن ثم تأكيد دولة الامارات انها عند وعدها بقبول تبادل التمثيل مع الرغبة في ترك التفاصيل الى حين وصول وفد الخارجية السوفياتية. وصار ما صار. جاء الوفد التجاري وبعده الوفد برئاسة المدير المساعد لشؤون الشرق الاوسط في الخارجية السوفياتية. وجرت المحادثات في أبو ظبي من دون ان تحرك السعودية ساكناً أو دون ان «تنصح» أو «تبدي الرغبة».

واتفق الطرفان على تحديد موعد إذاعة بيان تبادل الاعتراف والتمثيل، الى ان جاء يوم تحرك فيه السيد عمر السقاف وزير الدولة للشؤون الخارجية في السعودية وزار البحرين ونقل رغبة حكومته في الحد من زيارات الوفود السوفياتية للمنطقة، وقال ان حكومته منزعجة لكثرة هذه الوفود. يوم وفد من وكالة انباء «تاس» وآخر من «البرافدا» ثم وفد تجاري وآخر من الخارجية. وقال ان هم السوفيات من وراء هذه الزيارات قد يكون مسح المنطقة التي كانت مغلقة بالنسبة اليهم. وحذر من تبادل التمثيل مع موسكو لما في ذلك من محاذير، وقال ان حكومته تقدم النصيحة عن قناعة وخبرة وحرصاً منها على أمن المنطقة ومستقبلها.

هذا الكلام نقله السقاف الى المسؤولين في البحرين والى وزير الخارجية الاتحادية السيد احمد خليفة السويدي ومستشار الشيخ زايد الدكتور حسن عباس زكي ومدير الشؤون السياسية في وزارة الخارجة الاتحادية السيد سعيد بن غيث. وأكمل السقاف جولته فزار قطر للغاية نفسها وعاد وفد دولة الامارات برئاسة السويدي الى أبو ظبي ونقل الى الشيخ زايد رغبة السعودية، لكن السيف كان قد سبق العذل ولم يعد في الامكان عمل شيء.

والآن؟ يقول مسؤول كبير في أبو ظبي ان الامارة، ومن بعدها دولة

الامـارات، تحتـرم رأي السعـودية وتقدر فيها الشقيقة الكبرى. وتعتبر ان البلدين مرتبطان عضوياً وان كل ضرر يلحق بالواحدة يلحق بالأخـرى. وان لرأي السعـودية كل تقدير، لكن ملابسات القضية تبرر موقف دولة الامارات مع الأخذ في الاعتبار وجهة نظر السعودية.

ويضيف: ان دولة الامارات ستحدد عدد المبعوثين السوفيات وفق مصلحة البلدين:

«ولا ننسى ان في امكاننا بعد تحديد العدد مراقبة كل الاجانب من روس وغيرهم حتى لا يكون واحد منهم عاملاً من عوامل الاخلال بالأمن. أما ما قيل من ان الاتحاد السوفياتي سيفتح مكاتب قنصلية في الامارات الست، غير مركز السفارة في أبوظبي، فنحن لن نقبل لأن العلاقات بين الامارات وموسكو لا توجب أصلاً وجود مثل هذه المكاتب».

انتهى حديث المسؤول الكبير عن قصة تبادل التمثيل والخلاف مع السعودية وغيرهما من الشؤون والشجون.

ومـع رشف القهـوة من «الدلّة» انتقل الحديث الى قصة محاولة الانقـلاب الدامية في الشارقة التي انتهت بمقتل الحاكم السابق الشيـخ خالد بن محمـد القاسمي وأربعة من رجال حرسه. قال المسؤول ان التحقيق مع بطل المحاولة والحاكم الاسبق للشارقة الشيخ صقر بن سلطان القاسمي انتهى، واعترف هو وثلاثون من أتباعه ومؤيديه، وان الملف في طريقه الى المحكمة الاتحادية لتصدر الحكم. وأضاف ان التحقيق اثبت ان ليس ثمة دولة وراء المحاولة، بل وراءها عامل فردي والرغبة في استرداد الحكم، لكن لا يمكن النكـران ان ثمة عناصر ساعدت الشيخ صقر بن سلطان، وعلى مسـؤوليتهـا ومن دون ان يكـون هناك ارتباط مع حكم أو نظام معينين. وذكر ان الحكم سيكون وفقاً للقانون ولن يأخذ بالواقع القبلي أو العشائري كما سبق ان قيل من ان مصير الشيخ صقر سيترك للقواسم انفسهم.

وفي الحديث عن انقلاب قطر قال المسؤول، ان دولة الامارات تعتبر الحدث داخلياً يخص قطر وعائلة آل ثاني وشعب قطر. وهي ترى في الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أحد الرجالات القلائل في الخليج من حيث الذكاء والقوة والقدرة وتتمنى له ولقطر التوفيق. كما انها تبارك خطواته المتعلقة بتطوير الدولة وتحديثها وتحقيق العدالة الاجتماعية خصوصاً ما يتعلق منها بزيادة الرواتب ورفع نسبة المساعدات الاجتماعية واعفاء المواطنين من دفع فواتير الماء والكهرباء والهاتف واسترداد ديونهم على الحاكم السابق واعفائهم من ديون الدولة عليهم. وذكر المسؤول انه كان على دولة الامارات ان ترد من اليوم الاول على برقية أمير دولة قطر الجديد، لكن غياب الشيخ زايد بن سلطان رئيس الدولة حال دون ذلك، وكون الشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم دبي ووالد زوجة حاكم قطر السابق رئيساً لدولة الامارات بالنيابة، ورّط الدولة بحساسيات كان من المستحسن معها التريث في اتخاذ موقف حتى تتضح الرؤية. لكن ابو ظبي أخذت مبادرة حين اوفدت وزير الدولة السيد محمد الحبروش الى دبي لاجراء مشاورات حول الموضوع انتهت بالرد على برقية قطر. كما ان السيد مهدي التاجر مستشار حاكم دبي وسفير دولة الامارات المعين في لندن، لعب دوراً كبيراً في سبيل تقريب وجهات النظر بين قطر ودولة الامارات لانه رأى في الشيخ خليفة بن حمد ضمانة لقطر. وسلامة قطر تعني في نظره سلامة الخليج، لأن انفراط حبة في العقد تعني انفراط العقد كله.

وفي الجو المحموم الذي يعيشه الخليج والتساؤل العادي: اين يكون الانقلاب الثالث؟ مع هذا التساؤل يبدي المسؤول الكبير في أبو ظبي ارتياحه الى الاوضاع. في نظره ان محاولة الشارقة كانت انفعالية اسبابها شخصية. محاولة قطر خطوة تصحيحية كانت لقطر ظروفها وللشيخ خليفة ظروفه اضطرته الى القيام بحركته. يبقى مستقبل الاتحاد في الساحل المتصالح.

في نظر المسؤول الكبير ان الاتحاد سيزداد قوة وان انضمام رأس الخيمة اليه حديثاً كان بناء على قناعة حاكمها الشيخ صقر بن محمد القاسمي بأن البقاء خارجاً يعني الدوران في الفراغ، وان انضمامه يعني الاعتراف بالواقع التاريخي والجغرافي الذي اثبت ويثبت ان الساحل المتصالح وحدة لا تتجزأ، وان شعب المنطقة شعب واحد برغم تعدد الشيوخ والحكام. برغم تشاؤم المراقبين والجو المحموم، يصر المسؤول الكبير في أبو ظبي على ان ينظر الى البعيد نظرة تفاؤلية مع ان التساؤل الدائم في المنطقة: اين تكون الضربة المقبلة؟

تساؤلات وعلامات استفهام ترافقها ابتسامات من المسؤول الكبير لكن السؤال الكبير: اين الحركة التصحيحية المقبلة؟ ومن يكون وراءها؟ وهل يصح القول في ان الاميركيين خلفاء البريطانيين في المنطقة يريدون امتصاص النقمة وتقويم الاعوجاج بالانقلابات كما فعلوا ويفعلون في دول العالم الثالث؟ اسئلة من دون اجوبة.. مع ان الاجوبة قد ترد في وقت قريب.

الفصل الثالث عشر

اطلالة الحاكم الجديد[1]

بعد أيام من اغتيال حاكم الشارقة، كان الحديث الأول مع خلفه، شقيقه الحاكم الجديد الشيخ سلطان بن محمد القاسمي. التاريخ: الاول من نيسان/ ابريل ١٩٧١.

الناس تدري الموت حق لازم
لكن ما تدري حتى يوحى لها

بيت من الشعر البدوي لابن الظاهر الشاعر النبطي في الساحل المتصالح، تذكرته والسيارة تدرج على الطريق العريضة كأنها حية سوداء تستريح على الرمال البيضاء التي ترشح مياهاً بحرية من تحت، وفوقها مستنقعات من بقايا امطار غزيرة هطلت بكميات لم تعرفها منطقة الساحل المتصالح من قبل. بيت من الشعر ذكرني بحاكم الشارقة الذي اغتيل الشيخ خالد بن محمد القاسمي، وأنا في الطريق الى «مجلس» حيث موعدي مع شقيقه الحاكم الحالي الشيخ سلطان بن محمد القاسمي.

الشاطىء بمياهه الضحلة القريبة تزغرد مياهه وفوقها حمام البحر كأنه فراشات تطفو حيث لا عشب ولا نبات ولا نخيل، بل وحدة وفراغ. ذكريات تعود الى القواسم القدامى الذين سادوا البحار،

(١) «النهار» في الأول من نيسان/ ابريل عام ١٩٧٢.

وكان الساحل ساحلهم مليئاً بالسفن والقوارب حاكمة مستبدة لا حكم لغيرها الا لإرادة القدر. وأطلت الشارقة بساحاتها وشوارعها العريضة التي بنيت من العدم، لا تواكبها الا همة الشيخ السابق الذي اكتسب من تاريخ القواسم الحنكة في إدارة امارته، وقفز بها من الصفر الى ما فوقه بكثير.

على ابواب «المجلس ـ الاستراحة» حرس لا بد أن تستأذنه ليستأذن قبل ان يفتح. في صالة الاستقبال «الفداوية» بلحاهم التي عاصرت التاريخ وخناجرهم المعقوفة وبنادقهم التي تجمع تاريخ مجيء البرتغاليين الى المناطق وبروز عصر الكلاشينكوف. انهم عتاق عتاق لا تهتز للواحد منهم يد، وهو يركع نصف ركعة ويستند الى بندقيته ولحيته البيضاء مصلوبة على صورة لا تفيق من الصلب الا عندما ترتفع البندقية دليل قيام صاحبها: لا يتكلم، لا يتحدث، لكنه يتطلع بعينين كعيني الصقر همه ألا يحدث لسلطان ما حدث لخالد من قبل. في غرفة الضيوف ابراهيم وجاسم المدفع يستقبلان من لهم مواعيد محددة مع الشيخ. ابراهيم الستيني يروي الشعر والذكريات عن الشارقة. عام ١٩٣٢ جمعت هذه الامارة التبرعات لفلسطين وأرسلتها عن طريق الهند ـ عبر عدن ـ الى الحاج أمين الحسيني.

جاسم المدفع لبق يأخذ ويعطي ومختار التوم السوداني المثقف ومدير البلدية حركة لا تهدأ:

● شاي؟

ـ شاي.

ويبدأ تناول الشاي والضباط يروحون ويجيئون وكلهم عيون على المئات الذين احتشدوا. لكل منهم مطلب أو مشورة أو حكاية.

ـ يا هلا....

قالها الشيخ سلطان وهو يستقبلني. انه يقرأ ويقرأ ويقرأ.

تخرج من كلية الزراعة في جامعة القاهرة وعاد الى الشارقة يجري التجارب على زراعات متنوعة. ترك الحكم لأخيه الشيخ خالد والأمن لأخيه الآخر الشيخ صقر وانصرف الى الصحراء، فكان يزرع ويزرع ويقرأ ويقرأ. عندما قامت دولة الامارات العربية المتحدة عين وزيراً اتحادياً للتربية والتعليم. جاءت المحاولة الانقلابية الفاشلة وقتل خالد ومعه اربعة من رجاله. واختاره القواسم حاكماً بدل نائب الحاكم السابق الشيخ صقر الذي أضرت به صورة مع الاميرال الايراني على جزيرة أبو موسى. له تحفظات على الصحافة والصحافيين. يأتون الى الخليج لا لسبر اغوار الحقيقة، بل اغوار «غيرها». دليله ان تدشين طريق شقتها السعودية قبل سنتين بين الشارقة ورأس الخيمة، شد عشرات الصحافيين من بيروت والكويت والسعودية ومراسلي وكالات انباء عالمية الى الساحل المتصالح لمشاهدة «الانجاز» الضخم، في حين ان احداثاً دامية في الخليج وتطورات مصيرية جرت لم تشد أحداً منهم الى المنطقة. في الحوار لم يكن لديه أدنى تحفظ.

ماذا عن دولة الامارات؟

ثقة بالاتحاد وبأن مستقبله لا خلاف عليه.

في رأيه ان حادث الشارقة أخّر موعد قيام المؤسسات الاتحادية «لكنها الآن وجدت وبدأت تقوم بواجباتها».

ـ كيف؟ وفي كل امارة إذاعة. رأس الخيمة ستدشن اذاعتها قريباً. كذلك الشارقة. إذاعة دبي لا تعترف بالاتحاد حتى انها لا تذيع أنباء تقديم أوراق اعتماد السفراء لدى رئيس الدولة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في أبو ظبي. صمت وصمت. يتبعه ايضاح:

«الاتحاد لابد قائم ولا بد ناجح. ستذوب الفواصل وستقوم المؤسسات الاتحادية بعملها وسيتم التنسيق في الحقل الاعلامي. لن تبقى في الامارات السبع على الصعيد المحلي سوى قوات الشرطة المحلية

والجمارك والبلديات. الرسوم الجمركية ستوحد ايضاً بحيث لا تستفيد امارات على حساب الامارات الاخرى».

● لماذا هذا الموقف المتردد من قطر بعد الحركة التصحيحية فيها؟

ـ مفروض ان تكون لنا سياسة عامة واضحة. نأمل في القريب العاجل ان يكون لنا موقف واضح من قطر ومن غيرها، ونأمل ان ينبع هذا الموقف من مصلحة الخليج ككل.

حديث طويل وطويل عن تطلعات دولة الامارات الى مستقبل افضل.

● ماذا عن صقر بن سلطان بطل الانقلاب الفاشل الدموي؟

ـ صقر هو الآن تحت يد السلطة الاتحادية. نأمل في ان يحال على المحاكمة قريباً.

● عشائرياً؟

ـ لا. محاكمة اتحادية. تردد ان أمره سيترك للقواسم. القواسم الآن ضمن الأسرة الاتحادية. هناك قانون دولة الامارات نأخذ به. ولا تنسى اننا دولة مسلمة عندنا الشريعة التي هي فوق كل القوانين.

● سيحاكم كمجرم عادي؟

ـ لم لا؟ إذا كان القواسم جزءاً من الاتحاد عليهم ان يخضعوا لقوانينه. لو كان اعتداء صقر على عشيرة أو عائلة لاختلفت المقاييس نسبياً. عندنا عائلات وعشائر كثيرة. لو كل مجرم ترك لعائلته أو عشيرته لما عاد من مبرر للاتحاد؟

● اين التحقيق؟

ـ التحقيق سري وبقي سرياً. اثناء المحاكمة قد تبرز ادوار عدة لا يعرف بها احد حتى الآن. المحاكمة ستكون علنية وستقال فيها اشياء واشياء.

صقر اختار في محاولته «عينات» معروفة من الناس. لا احد يجهلهم وليست لديهم انتماءات حزبية. «ولا اعتقد ان حزباً عقائدياً له مبادىء يمكن ان يقبل أمثال هؤلاء».

● هل من دور لأحدى الدول العربية؟
ـ لا اعتقد.

● احدى الامارات؟
ـ ابتسم: ستخرج من المحاكمة عجايب وغرايب. ستنكشف الادوار. لن نقول من، ستظهر الحقائق كاملة.

● وعن النفط؟
ـ بدأت الحفريات وستظهر النتائج قريباً. انها مشجعة وتقوم بها شركة «بيوتس». النفط قريب. وكل آت قريب.

● ماذا عن عُمان؟ وهل احتلت الاجزاء الاخرى من الشارقة على الشاطىء الآخر؟
ـ لماذا السؤال دائماً عن عُمان؟ السلطنة صديقة لكل الامارات. لا خلافات بيننا. الحدود واضحة وكذلك التقسيمات القبلية.

كان الحديث يوم كان الشاه محمد رضا بهلوي ينزل في جزيرة ابو موسى لتفقد القوات الايرانية. وكان السؤال: هل نستطيع زيارة الجزيرة؟
ـ ولم لا؟ الاحوال الجوية الآن لا تسمح. البحر كما ترى هائج والمسافة بعيدة واللنشات التي يستعملها الموظفون لا تتحمل الانواء. المدرسون والموظفون لم يستطيعوا العبور منذ ثلاثة اسابيع. انا ازور الجزيرة دائماً واتفقد السكان والموظفين. في زيارتي المقبلة نرحب بأن تكون في رفقتنا. خذ حريتك. راقب وشاهد واكتب بموضوعية. لسنا معقدين. وقع اتفاق ونحن نلتزم به وابناؤنا في جزيرتنا لهم كل الحقوق.

ويتكلم الشيخ سلطان بن محمد القاسمي. يتحدث عن النهضة في الساحل، يتطلع الى الرجال ومن يصنعهم. يشكر الكويت وغيرها من الدول التي قدمت المساعدات وفتحت المدارس والمستشفيات وعلمت الشباب:

«انني تتلمذت على عبد الله بشارة رئيس وفد الكويت الدائم في الأمم المتحدة. درست في الكويت ومنها توجهت الى القاهرة على نفقة الكويت حتى اتممت تحصيلي الجامعي».

وتعود السيارة عبر الطريق السوداء الى دبي.. حيث نجد في شوارعها اجناساً متعددة من البشر كأنك في شارع لمدينة ايرانية أو في كابول أو كراتشي أو بومباي. ساعة سألت الشيخ سلطان عن هذا الوجود الغريب كان جوابه:

- قبل الاتحاد لم تكن لدينا قوات لخفر الساحل تمنع الزحف الاجنبي وتسلله. الآن تغيرت الصورة. صار عندنا قانون وقوات ترحل كل من يثبت دخوله الى المنطقة بصورة غير مشروعة.

هل تفلح السلطات الاتحادية؟ سؤال، الى الآن، مشكوك فيه.

الفصل الرابع عشر

قواسم الشارقة ورأس الخيمة[1]

القـواسم تسببـوا بزعـزعـة الأمن، لكن بسبب اصطدامات بين بعضهم البعض، أي إن لم يجدوا من يحاربوه، يحاربون بعضهم بعضاً:

اجتـازت دولة الامـارات العربية المتحدة امتحاناً دموياً ثانياً هو أخطر ما تعرضت له بعد الانقلاب الذي حصل في الشارقة قبل نحو ٥ أشهر، وراح ضحيته حاكمها الشيخ خالد بن محمد القاسمي وأربعة من حراسه على يد ابن عمه الحاكم السابق الشيخ صقر بن سلطان القاسمي، وعشرة من أعوانه المحتجزين اليوم في السجن الحربي في مدينة العين في امارة أبو ظبي. وتمكن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان أمير دولة الامارات من فض الخلافات القبلية بين الشـارقة والفجيرة بعد سلسلة اجتماعات عقدها في قصر المنهل، وحضرهـا حاكما الامارتين الشيخان سلطان بن محمد القاسمي ومحمد بن حمد الشرقي ورئيس الحكومة الاتحادية وولي عهد دبي الشيخ مكتوم بن راشد المكتوم وولي عهد ابو ظبي ورئيس وزرائها الشيخ خليفة بن زايد. وقد أعلن المجتمعون توصلهم الى اتفاق بين الفريقين المتخاصمين وعودة الهدوء الى الساحل الشرقي من دولة الامارات بعد قتال استمر ٣ أيام بين قبيلتي الشرقيين (الفجيرة) والنقبيـين (الشـارقة). ونفى بيان لوزارة الداخلية الاتحادية ما

---

(١) «النهار» في ١٢ حزيران/ يونيو عام ١٩٧٢.

تناقلته وكالات الانباء في الايام الثلاثة الماضية عن سقوط ٣٢ قتيلاً وعدد كبير من الجرحى، وقال انه:

«نتيجة لخلاف قبلي على ملكية قطعة أرض بين قبيلتي الشرقيين والنقبيين يعود الى سنوات عدة وقع نزاع بين القبيلتين القاطنتين في منطقة الحدود بين الفجيرة والشارقة. وتطور النزاع فتحول الى تبادل اطلاق نار تدخلت على أثره القوات الاتحادية وفصلت بين المتقاتلين وسيطرت على الموقف».

ولفت البيان وكالات الانباء الى عدم المبالغة في نشر الاخبار، وقال ان عدد القتلى كان ٤ مع عدد قليل من المصابين بجراح طفيفة.

في منطقة القتال، كان الهدوء سائداً اليوم والقوات الاتحادية التي عززت بالآلات كانت تسيطر على الموقف.

في الشارقة العاصمة، كان ايضاً هدوء مشوب بالحذر. وصرح الشيخ سعود القاسمي ابن عم الحاكم لـ «النهار» بأن القضية انتهت وبأن الحكام سيوفقون بين المتخاصمين وان كل شيء هادىء. لماذا القتال الدامي ولماذا هذه الالغام تنفجر الواحد بعد الآخر في منطقة الخليج التي هي في أمس الحاجة الى الهدوء باعتبارها أكبر مركز لاحتياط النفط في العالم؟

يتوقع الدبلوماسيون ان الغام الساحل الشرقي لدولة الامارات المطل على خليج عمان ستنفجر الواحد بعد الآخر، وستبقى المنطقة في حال غليان مستمر إذا لم تنفجر دفعة واحدة، وتنهي المتناقضات المتمثلة بالجيوب المتداخلة والمتشابكة والتي تركها البريطانيون وراءهم بعد الانسحاب. من الساحل الغربي لدولة الامارات مروراً بالشارقة وعجمان وأم القيوين ورأس الخيمة ثم التفافاً حول رأس مسندام المطل على مضيق هرمز، تبدأ اغرب قضية حدود في العالم. بعد رأس مسندام العُماني وجبال السلطنة الصخرية تقوم إمارة الفجيرة التي تقسم سلطنة عُمان قسمين. والى الجنوب جيب بحري

صغير للشارقة فيه قرية لوليا وخورفكان، ثم جيب صغير للسلطنة وبعده جيب آخر للفجيرة فيه قرية مربح وميناء الغرفة، ومن جديد جيب للشارقة فيه حصن كلبا القديم، ثم جيوب متعددة لامارات عجمان ودبي ومسقط، بعدها تبدأ حدود السلطنة من جديد بسهولها وصحاريها وبجبالها الشامخة وتنزل جنوباً لتلف حول ابو ظبي ومدينة العين وواحة البريمي المتنازع عليها بين عُمان وابو ظبي والسعودية. هذه التقسيمات العجيبة خلفتها بريطانيا اسماء على خريطة وضعتها مصلحة المساحة العسكرية البريطانية قبل ٦٠ سنة. والجيوب هذه تقسم سلطنة عُمان قسمين وتستطيع دولة الامارات ان تحرمها الاتصال البري، إذا ارادت، بأهم مواقعها البحرية والاستراتيجية الذي يشرف على مضيق هرمز، ويتحكم ربما، مع تطور الاسلحة، بالبر الايراني.

هذه الخريطة المتداخل بعضها ببعض تعني ان وضعاً غير طبيعي قائم في المنطقة، وان الخلافات القبلية على الاراضي ستستمر ما لم تسو القضايا نهائياً، أياً يكن نوع التسوية. عن الاصطدام يقول المراقبون انه ليس الاول من نوعه وربما لن يكون الاخير، وخطورته انه وقع بعد قيام دولة الامارات وانطلق من الشارقة التي عانت قبل أشهر قتالاً مماثلاً. كان المقصود بالحادثين دولة الامارات التي اشتهرت بسرعة تحرك قواتها، فقضت على النزاعين فوراً. ويقول المراقبون ان البريطانيين قد يكونون المسؤولين عن الحادث ليشعروا القبائل بأهمية الفراغ الذي أحدثوه بعد انسحابهم. وينهي المراقبون تعليقهم فيزيدون ان السبب الحقيقي للحادث يعود الى الوضع غير الطبيعي في الساحل الشرقي لدولة الامارات، وقد تكون إمارة الفجيرة وراء الحادث تلعب لعبة خطرة لمصلحة سلطنة عمان التي بدأت تجس النبض في محاولة لمعرفة مدى ردود الفعل على قرار قد يتخذ مستقبلاً ليضع حداً لتقسيم غير طبيعي يقطع عليها الطريق الى أهم مراكزها الاستراتيجية في الخليج.

دولة الامارات تحركت بسرعة وجمدت الخلاف الى حين. لكن الى متى؟ هذا السؤال لا يجيب عنه المراقبون في الوقت الحاضر.

الفصل الخامس عشر

هموم خليجية مستمرة[1]

نشـاطات الدولة بعد قيامها بسنة متعددة وكذلك همومها. الشيخ راشد مشغول بتطوير امارته. بدأ باكتشـافـات جديـدة للنفط وبوضع مشروع لإقامة حوض جاف بمشورة مستشاره والسفير في لندن وأوروبا الغربية السيد مهدي التاجر، كل هذا يجري في دبي والشيخ زايد رئيس الدولة مشغول بـ «فلش» دولته في العالم، يحصل على الاعترافات ويقيم السفارات.

وهكذا يتبين أن ابو ظبي هي نقيض دبي، فلسفة تختلف باختلاف الأسباب.

وتتكاثر في هذه الآونة اللماذات؟

وفي لقـاء مع مسـؤول كبـير في أبـو ظبي تنـاول الحـديث أكثر «اللمـاذات» التي تتردد عن المنطقة. جواب المسؤول ان الاعلام العـربي الذي كان السبب في ضيـاع فلسطين وسبباً رئيسياً في هزيمة ١٩٦٧ هو الذي اضاع على عرب الخليج جزر مضيق هرمز الثلاث: ابو موسى والطمب الكبرى والطمب الصغرى.

● كيف؟

ـ لأن هذا الاعلام الذي لا يلتزم بشيء الا بالمبالغة واطلاق البهورات

---

(١) «النهار» في ١٥ تموز/ يوليو عام ١٩٧٢.

والتهديدات والعنتريات كان سبباً رئيسياً استفزازياً وراء التصرف الايـراني. لو ترك الأمر للحكمة والرصانة والمفاوضات الهادئة لما وصلنا الى ما وصلنا اليه.

منذ ثلاث سنوات والاعلام العربي يتحدى ايران ويلصق بها التهم ويتـوعـدها ان هي تحركت. وتحركت: ماذا كان مصير الاعلام؟ شتائم وتهديدات من جديد. واليوم تتعرض دولة الامارات «لغزوة» اعلامية عربية، ومن الحب ما قتل. من تحبب «بعض الاعلام» اليها يسيء الى علاقاتها بأكثر من دولة. يفتعلون الخلافات بينها وبين جاراتها، حتى ان هذا «البعض الاعلامي» يستفز الجارات فيسيء الى دولة الامارات من حيث لا يدري.

● ماذا عن الخلافات القبلية في الساحل الشرقي للامارة؟

ـ خسارة بعض الرجال في اقتتال قبلي ليست مهمة. سقوط طائرة يتسبب في خسارة مئة نسمة. لكن علينا ان نسعى الى المحافظة على الأرض، «بعض الاعــلام» قال ان سبب الاقتتـال تقصـير دولة الامارات. قد يكون وقد لا يكون، لكن لنكن واقعيين.

القبـائـل في الساحل الشرقي بدائية شديدة المراس. عندما تقرر توزيع المساكن الشعبية ـ وهذا لا يمكن ان يتم الا بالتقسيط لأن ليس في وسع دولة في العالم ان تبني لكل ابناء المنطقة مساكن دفعة واحدة ـ عندما تقرر التوزيع وقفت القبائل وقالت: إما الكل والا فلا. ومع ذلك، فإن عمليات التلزيم والمناقصات تجري حتى تقنع القبائل بأن الامور تصطلح مرحلة مرحلة.

وعندما تقرر توزيع المعونات الاجتماعية أراد الجميع ان يقبضوا دفعـة واحـدة وإلا فلا قبض. حتى ان بعض حكـام الامـارات يتسـاءل: لماذا تسـاعـدون هذه الدولة أو تلك، ولا تقدمون هذه المساعدات الينا؟

ان الدولة الاتحـادية لا تقصر في حقهم، لكن عليها واجباً قومياً. الدولة عربية وعليها التزامات تجاه القضايا العربية. ثم هناك بعد نظر.

سيأتي يوم تتعرض دولة الامارات لمشاكل وستكون في حاجة الى دعم ومساندات من دول تكون دعمتها من قبل. ان الشيخ زايد بن سلطان بانفتـاحـه على العـالم يريد ان يشعر الناس بأن دولته موجـودة وأنهـا مستعـدة للمساهمة لما فيه خير القضية العربية والسلام الدولي.

● لكن قبل ان تنفتح الدولة على العالم، عليها ان تنفتح على نفسها وتقصر المسافات ولو النفسية على الاقل بين الامارات والقبائل.

ـ هذا ما نسعى اليه. القبائل يلزمها وقت، الخلافات القبلية عادات متأصلة، في امكان كل فرد من أفراد الأسرة الحاكمة ان يجمع حوله عدداً من المؤيدين ويخلع الحاكم ويأخذ البيعة مكانه. بالطبع، هذا ما نسعى الى تجاوزه. والقبائل فقيرة وفي حاجة الى تحضير وتعليم وتطبيب. وكل هذا ما تسعى الدولة الى توفيره. والدولة الاتحادية تسعى الآن الى توحيد العلم والأنظمة والقوانين والاعلام، ولن يمر وقت حتى تزول كل التناقضات التي نشكو منها.

ويسكت المسؤول. ويطول الحديث عن دوامة التوزير في المنطقة. امارة ابو ظبي لها حكومة مستقلة ووزراء والحكومة الاتحادية فيها وزراء. وتـرى الوزيـر هنـا وزيراً اتحادياً هناك، ومرسوم يصدر بتوزير محلي وآخر اتحادي حتى ضاعت الطاسة ولم تعد تعرف هذا من ذاك لكثرتهم أولاً ولتعدد صلاحيات كل منهم.

عن «الضياع» الوزاري يقول المسؤول انها فترة تنظيم تقع فيها ملابسات ولا بد ان تستقر الامور. ينتهي الحديث مع المسؤول، ونعود الى هموم دولة الامارات التي هي هموم ابو ظبي لأن بقية الامارات هموم حكامها في توفير المال والمال وحده لا غير. من الهموم،

زعيم الانقلاب الدموي الفاشل في الشارقة الشيخ صقر بن سلطان القاسمي، الذي يجلس قرير العين في أحد سجون مدينة العين في ابو ظبي مع عشرة من اعوانه. الرأي الرسمي في ابو ظبي الى الآن هو ان حادث الشـارقـة عائلي. أي انه برغم التحقيق الاتحادي سيترك أمر الشيخ صقر للقواسم. اما ان يقرروا اعدامه وينفذوا هم الاعدام. أو ان يعفوا عنه. والقواسم الى الآن مختلفون والدولة الى الآن تحتفظ بالشيخ صقر في انتظار ان تحل الايام الأزمة.

الهم الثاني هو إمارة دبي نفسها. دبي تتصرف كأنها تريد ان تكون عاصمة الدولة. لا تمانع في ان يقدم سفير ما اوراق اعتماده للرئيس الشيخ زايد في أبو ظبي، لكنها ترغب ضمنياً في ان يقيم السفير في دبي.

ودبي تتخذ أكثر الأحيان مواقف نابعة من مصلحتها لا من مصلحة الدولة الاتحـاديـة. همهـا ان تكون أكبر مرفأ وأكبر مطار ومقر للشركات الكبرى، أي الوجه الاقتصادي للدولة، أي ان تحرم أبو ظبي العاصمة المؤقتة بموجب الدستور، ناهيك بالامارات الأخرى الفقـيرة التي تحتاج أكثر من غيرها الى تنمية ومساعدات. ودبي برغم غناها وتطورها لا تنفق اي فلس على تطوير نفسها، بل تترك ذلك لأمـوال ابو ظبي والسعودية والكويت وقطر كأنه واجب، اما اموالها فتستثمر في عقارات للشيوخ، أي ان ثروة دبي ثروة العائلة الحاكمة فقط.

وتعيش دولة الامارات بسبب سلبية دبي اليوم أزمة عدم ثقة مع دولة قطر بعد حركتها التصحيحية الاخيرة، وعزل الحاكم السابق الشيخ احمد بن علي آل ثاني وتسلم رئيس الوزراء ونائب الحاكم الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مهمات الامارة. الحاكم المعزول هو صهر حاكم دبي الشيخ راشد بن سعيد المكتوم. وبعد عزله انتقل

من إيـران حيث كان في رحلة قنص الى دبي حيث له قصر كبـير والمئات من الخدم والحشم.

وأصر حاكم دبي على ان يعامل صهره معاملة الامير. يسمح له برفع علم الدولة على قصره وسيارته ويعامله معاملة رؤساء الدول. كما سمح لنجل الحاكم السابق الشيخ عبد العزيز بن احمد الذي كان وزيراً للصحة في قطر وتسبب بتصرفاته الصبيانية في عزل ابيه ـ سمح للوزير السابق الذي كان يطمع في ولاية العهد وعزل الشيخ خليفة وجيش لذلك المئات من البدو في الاقامة في دبي ومحاولة تدبير المؤامرات ضد قطر ونظامها ـ هذا التصرف أساء الى العلاقات بين دولة الامارات وقطر وسبب بينهما جفاء يكاد يتطور الى خلاف.

حاول الشيـخ زايـد ان يخفف من آثـار الأزمـة ووعـد أحـد الدبلوماسيين بزيارة قطر لكنه لم يقم بالزيارة خوفاً من حاكم دبي الذي يهدد ضمنياً بالانسحاب من الدولة الاتحادية. وجاء الى قطر يوماً السيد مهدي التاجر وحاول ان يبرر لاميرها تصرف حاكم دبي. وبعـده جاء وزيـر الخـارجيـة الاتحـادي السيـد احمـد خليفة السويدي، وأكد ان رئيس دولة الامارات يعتبر انقلاب قطر حدثاً عائلياً لا يحق لأحد التدخل فيه، وانه يكنّ لقطر واميرها كل تقدير. لكن هذا كله يبقى في نظر قطر عواطف شفهية وان العلاقات بين الدول لم تعـد تقف عند حدود المصاهرة والروابط العائلية، وهي ترى ان على دولة الامارات ان تتجاوز العواطف الشخصية. وقطر تجـاوزت موقف دولة الامـارات السلبي وبـدأت تحـركاً سريعاً. انفتحت على البحرين وكان بين وزيري الخارجية في البلدين الشيخ سحيم بن حمد آل ثاني والشيخ محمد بن مبارك آل خليفة تبادل زيارات. كما سافر الشيخ سحيم الى سلطنة عمان وكان رداً لزيارة من قبل السلطان قابوس. كما استضافت قطر ولي عهد امارة رأس الخيمة الشيخ خالد بن صقر القاسمي اكثر من مرة.

في ذهن دولة الامارات ان هذه التحركات قد تنتهي بحلف سعودي ـ قطري ـ بحراني ـ عماني، اضافة الى رأس الخيمة يشكل حولها طوقاً يصعب خرقه، إضافة الى ان بين دولة الامارات والسعودية أزمة صامتة سببها الخلاف حول البريمي. والسعودية لم تعترف الى الآن بالدولة الاتحادية ولم يقدم مدير مكتبها في الساحل المتصالح الشيخ عبد الله الفضل اوراق اعتماده كسفير، وفي الانباء الديبلوماسية ان الفضل سيعين سفيراً في البحرين. بالطبع السعودية لا تهدد، لكن موقفها سلبي ـ اضافة الى التقارب بينها وبين سلطنة عمان وعلاقاتها الوثيقة بقطر والبحرين ـ هذا الموقف يشل حركة دولة الامارات وهي تحاول على كل الاصعدة التقارب مع الدول المحيطة بها مثبتة حسن النية. وزير خارجيتها الاتحادي زار للمرة الثانية قطر ثم البحرين وقدم الى اميريهما رسالتين من الشيخ زايد. مضمون الرسالتين كما علمت «النهار» العواطف اولاً، ثم اقترح عقد اجتماعات دورية بين وزراء الخارجية في دول المنطقة.

الاقتراح مقبول ولاقى ترحيباً، لكنه في عرف المطلعين لا يحل الأزمة النفسية لدولة الامارات وللشيخ زايد بالذات.

خوف من السعودية ومن عمان. وتخوف من سلبية دبي ومن «التجاذب» القطري ورأس الخيمة. ومعروف ان حاكم هذه الامارة الشيخ صقر بن محمد القاسمي لم يقدم طلب الانضمام الى دولة الامارات الا بعدما شعر ان امارته معزولة وبتشجيع ـ كما تردد ـ من السعودية. الذي يزور ابو ظبي يشعر بسرعة التحرك عند الدولة خصوصاً على الصعيد الخارجي. مسؤول كبير قال: نريد ان يشعر العالم بنا ويقرأ عنا حتى ولو انباء الاصطدامات الدامية في الساحل الشرقي. دولة تتشبث بالحياة وتريد ان يكون لها مكان تحت الشمس. نجحت حتى الآن ولا شك.

لكن الالغام التي تركها البريطانيون ونوعية حكام بعض الامارات

وتراكضهم وراء مصالحهم الخاصة، والخلافات مع بعض الجارات الكبرى، واطماع أكثر من دولة بالمنطقة وثروتها ومركزها الاستراتيجي، هذه كلها تسبب لها المتاعب.

وثمة هم أخير طوي نسبياً الآن، هو هم الاتفاق على تبادل التمثيل الديبلوماسي مع الاتحاد السوفياتي.

هذا الاتفاق جمد بعد اعلان السعودية عدم رضاها عنه. والاعلان صراحة ان دولة الامارات لا ترغب في وجود ديبلوماسيين شيوعيين في الوقت الحاضر. وان كان ثمة وجود فليكن محدوداً ومشروطاً.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السادس عشر

الوجود الاميركي[1]

الوجود الاميركي في منطقة الخليج بدأ يتركز بعد الانسحاب البريطاني. لوحة قديمة عن بداية التحرك لتركيز هذا الوجود.

السفير الاميركي في الكويت وحده يزور وزارة الخارجية الكويتية مرة في الاسبوع «للدردشة». هذه الزيارة روتينية لا علاقة لها بالزيارات الرسمية التي تكون لتسلم رسالة أو تسليم رسالة أو عرض موضوع معين بناء على طلب خاص من السفير او باستدعاء من الخارجية.

والخارجية الكويتية ليست معقدة. سياستها واضحة. على الصعيد العربي متصلبة بل متطرفة خصوصاً إذا كان الأمر يعني قضية فلسطين. وهي إذ تستقبل السفير الاميركي تفتح ابوابها لأي سفير آخر خصوصاً إذا كان هذا السفير يمثل الاتحاد السوفياتي أو الصين. لذلك إذا ما جاء السفير الاميركي للدردشة احياناً، فلا بأس، خصوصاً إذا كان عند المسؤولين في الوزارة وقت للكلام وتبادل الكلام. والسفير الاميركي برغم دردشاته الكويتية، عنده في هذه الايام هموم خليجية كثيرة. فهو السفير في البحرين وفي قطر وفي دولة الامارات العربية المتحدة وفي سلطنة عمان. على نقيض

---

(١) «النهار» في ٣ كانون الاول/ ديسمبر عام ١٩٧٢.

السفير البريطاني، الذي تشعر انه ثانوي في الكويت، لكن زملاءه الذين كان أكثرهم معتمدين في المشيخات قبل استقلالها وتحولها الى دول اصبحوا الآن سفراء وعملاء للسلك الديبلوماسي، لأنهم سبقوا غيرهم في تقديم أوراق اعتمادهم، باستثناء السفير في البحرين الذي نقل الى منصب آخر وحل محله سفير جديد، فتحولت العمدة الى السفير الكويتي سليمان الماجد الشاهين.

نعود الى السفير الاميركي الذي تراه يلف دول الخليج مرة في الأسبوع أو كل اسبوعين. حتى انه كثيراً ما يرافق رجال اعمال اميركيين في جولاته يقدمهم الى الحكام أو المسؤولين المختصين. قبل سنة لم يكن السفير الاميركي في الكويت يزور الخليج الا قليلاً. وقبل سنة ما كانت تتحرك قدم في الخليج إلا برأي البريطانيين ومعرفتهم وبرغبة منهم، أو تكون مراقبة إذا لم تكن لهم رغبة. اليوم تغير الوضع. السفير الاميركي المقيم في الكويت والقائمون بأعمال السفارات في دول الخليج، تفتح لهم ابواب القصور ومكاتب الوزراء ويأخذون راحتهم كأنهم قديمو العهد في المنطقة. تبدل جذري. إذا استثنينا ابو ظبي وقطر تبقى اكثر امتيازات النفط في المنطقة اميركية. التركيز الاميركي على صعيد «البيزنس» موجه الى البحرين، اكثر دول المنطقة انفتاحاً وأكثرها استعداداً لأن تكون بلاد خدمات من الدرجة الأولى.

ويتساءل المراقبون: هل يعني الوجود الاميركي المتزايد في المنطقة استعماراً جديداً؟ قد يكون من المبالغة اعطاء هذا الوصف. ليس دفاعاً عن واشنطن ولا دفاعاً عن حكام المنطقة وشيوخها وامرائها. الوجود الاميركي هو وجود المصالح المشتركة. النفط في الخليج غربي. والدولة الغربية الكبرى التي تمد ذراعيها حول ما للغرب من مناطق نفوذ في العالم هي اميركا. اذاً فالوجود الاميركي السياسي خلقه الوجود الاقتصادي اولاً واخيراً.

ويتساءل الكثيرون: وهل من وجود عسكري؟ الناظر الى خريطة الخليج يراه شبه بحيرة فيه مضيق ضيق هو مضيق هرمز. غواصة أو غواصتان ذريتان تقفان في باب هذا المضيق تخنقان كل ما في داخله من قواعد عسكرية أو بحرية. كما ان الولايات المتحدة المرتبطة ارتباطاً عضوياً بإيران لها على الساحل الايراني الخليجي أكثر من قاعدة. القواعد هذه إيرانية بالطبع، لكن التلاحم الايراني - الاميركي يجعل منها قواعد للمصلحة الاميركية ما دامت اسلحتها اميركية وبعض مستشاريها اميركيين، لذلك الكلام عن وجود عسكري اميركي يبقى من دون معنى.

عن قاعدة الجفير البحرية في البحرين، الحقيقة ايضاً هي ان هذه قاعدة لتقديم التسهيلات ليست بذات قيمة إذا ما قورنت بما تقدمه القواعد البحرية في الجزائر ومصر للأسطول السوفياتي.

ماذا إذاً؟

الوجود الاميركي يبقى مدنياً واستخبارات في ثياب مدنية ومصالح. انهم يملأون فنادق البحرين وشوارعها، لأنهم ينظرون الى مستقبل البحرين الاقتصادي لكونه بلداً متحضراً وفي شعبه كل المؤهلات.

والوجود سياسي يحاول ان يأخذ من البريطانيين الصيت، لكن هؤلاء يبقون أكثر جذوراً، لذلك لا يمكن للأميركيين ان يستغنوا عن الخبرات البريطانية في المنطقة.

ويصدق جوزف سيسكو عندما يؤكد ان لا التزامات اميركية في المنطقة. بالطبع، ليست ثمة التزامات عسكرية واضحة المعالم، خصوصاً بعد بعض التنازلات. كان في النية استئجار قاعدة المرقاب الجوية في امارة الشارقة كقاعدة صيانة لشركة الخطوط الجوية العالمية (T.W.A) ، لكن هذه النية تجاوزتها الظروف بعد مجيء خبير من الشركة أقام في القاعدة ثلاثة اشهر ثم رحل.

واكتفي بقاعدة الجفير في البحرين لتسلية البحارة عند رسو السفن وتموينها.

واتجهت واشنطن لتعبئة الفراغ الى طهران. انها الآن تعتمد اعتماداً كلياً على ايران في «الهيمنة» العسكرية على الخليج والمحافظة على أمنه واستقراره.

القوة العسكرية الايرانية ضاربة وتغذيها واشنطن بأحدث الاسلحة والطائرات لتمكنها من لعب هذا الدور واطفاء اي حريق يمكن ان يشعل اللهيب في النفط. باركت احتلال جزر مضيق هرمز (الطمب الكبرى والطمب الصغرى وأبو موسى) حتى لا يكون في هذه الجزر ما يعكر مرور النفط، كما حدث عندما ضرب طوربيد فدائي مسلح باخرة اسرائيلية في البحر الأحمر من احدى جزر اليمن الجنوبية. وتشجعها على توسيع نفوذها ونشره في المنطقة بكل الامكانات حتى قيل ـ آخر الروايات في الخليج ـ ان حلفاً ايرانياً تم اخيراً مع سلطنة عُمان في الزيارة التي قام بها مستشار السلطان قابوس السيد تويني بن شهاب لطهران.

وتقول الرواية: ان الاسلحة الايرانية بدأت تتدفق على السلطنة، مع مستشارين عسكريين ايرانيين. رجل قوي في الخليج قال: لا تستغرب إذا سمعت يوماً بمقتل ضابط إيراني في ظفار. عندها قد تتدخل إيران اكثر فأكثر للقضاء على الثورة هناك.

ظفار هي التي تقلق إيران، اي اميركا. وراء ظفار اليمن الجنوبية. لذلك كانت زيارة وزير الخارجية الاميركية وليم روجرز الاخيرة للمنطقة، وكان الهدف الاساسي منها البحث في ترويض اليمن الجنوبية.

بعد ظفار هناك العراق الذي تعتبره السياسة الايرانية ـ الاميركية معكراً لصفاء مياه الخليج واستقراره. والعراق هو البلد العربي

الوحيد الذي من أهدافه المحافظة على عروبة الخليج ولو كان ذلك بتأييد الانظمة القائمة. وتحركات العراق في المنطقة تقلق إيران وبالتالي اميركا، ولذلك ينصبّ هم الدعاية الايرانية على العراق وحكم البعث فيه.

إذا كانت عدن وبغداد همين اميركيين، وان كان الهم الثاني في رأي مراقبين اميركيين يحتاج الى مهادنة واضعاف من دون تقويض، فإن للاميركيين في المنطقة هموماً اخرى: تغيير بعض الحكام والإتيان بأقوياء يحكمون محلهم. من هؤلاء الذين يخطط لتنحيتهم؟ سر اميركي - بريطاني بحت. متى؟ سر ايضاً. لكن المراقبين يتحدثون ويسمون البعض، والقضية ليست الا كلاماً لا يتجاوز بعض النافذين. هل يكون خريف الخليج حاراً؟ رجل نافذ في الخليج يتساءل: ماذا يخطط للمنطقة؟ يجيب عن السؤال بتساؤل: هل تكون الخطة اقتسام المنطقة بين السعودية وإيران؟ هل تصنف سلطنة عمان، بعد وقت دولة قوية وتعطى الرقم ثلاثة بعد إيران والسعودية ويؤذن لها باسترداد الساحل المتصالح الذي اسمه التاريخي ساحل عُمان؟ أو هل ترتاح السياسة الاميركية - البريطانية - الايرانية الى الوضع فتبقيه كما هو؟ تساؤلات وتساؤلات لا يعرف الاجابة عنها أحد حتى الآن. لكن التساؤل الذي يحير جميع المراقبين في المنطقة: ما هو دور السعودية؟ المملكة لا يمكن تجاوزها. الحلف الاميركي - الايراني لن يصل الى أي حل من دون ان تكون المملكة راضية أو موافقة. برغم صمتها، تبقى السعودية ذات تأثير. لها تأثير قوي في أكثر من دولة خليجية. ولها ثقل حتى في قصور بعض امراء الخليج. ولها نفوذ ديني في دول وقبائل.

الى جانب السعودية يبقى للعراق دور، وكذلك لسلطنة عمان. من يربح في لعبة الشطرنج الخليجية؟ الجواب عند رياح الخريف

الساخنة. هل تمر الرياح مع الرطوبة من دون نار، ام تلسع ألسنة النار الرطوبة فتحتويها؟

الفصل السابع عشر

... واكتملت الدولة[1]

بعد سنة وشهر وخمسة أيام أعلنت رأس الخيمة عن انضمامها إلى دولة الامارات العربية المتحدة، وقد مهد لذلك رئيس الدولة الشيخ زايد بن سلطان في حديث صحافي ثم بدأ توافد الوفود المهنئة.. وهكذا وردت التفاصيل قبل ثمانية عشرة عاماً وعدة أشهر:

أعلن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ان امارة رأس الخيمة طلبت الانضمام الى الدولة الجديدة من دون قيد أو شرط. ونفى الشيخ زايد، الذي استقبل صباح اليوم وفداً من الامارة المنفصلة، ان تكون هذه اشترطت مقاطعة ايران وطرد رعاياها وتصفية مصالحها في الخليج العربي. وقال في حديث صحافي ان وفد رأس الخيمة طلب أن تتبنى دولة الامارات موقفها من الاحتلال الايراني لجزر مضيق هرمز، بحيث تسعى الى اعادة هذه الجزر الى اصحابها. وأضاف ان الاتحاد سبق أن استنكر، عند اعلانه، موقف ايران واستخدامها القوة لاحتلال جزء من الاراضي العربية. ورداً على سؤال عما إذا كان وفد دولة الامارات الى الجامعة العربية سيطلب نزول قوات عربية في المنطقة لمقاومة الاحتلال الايراني للجزر، قال:

(١) «النهار» في ٥ كانون الاول/ ديسمبر عام ١٩٧٢.

«عندما طلبنا الانضمام الى الجامعة سنصبح اعضاء رسميين في الاسرة العربية. وعند اثارة القضية في اجتماع مجلس الجامعة سيتقيد وفدنا بكل قرار يتخذ».

وعما إذا كان سبب الاحتلال الايراني هو التهديد الليبي بإنزال قوات لحماية الجزر، قال الشيخ زايد انه لم يسمع بمثل هذا التهديد «والسؤال يوجه الى ليبيا وإيران».

وعما إذا كانت دولة الامارات توافق على اتفاق الشارقة مع إيران على تقسيم جزيرة ابو موسى، قال ان «الشارقة لم تستشر بقية الامارات قبل توقيع الاتفاق». وذكر ان حاكم الشارقة حاول المستحيل لانقاذ جزيرة ابو موسى، ولما لم يفلح قد تكون ظروفه اضطرته الى القبول بالتسوية. وأوضح الشيخ زايد انه عندما عقد حكام الامارات مؤتمرهم في دبي ارادوا ان يأتي استنكارهم لاحتلال الجزر عاماً حتى لا يسيئوا الى حساسيات حاكم الشارقة وهو منهم وفيهم.

عن الحكومة الاتحادية قال ان الرئيس المكلف الشيخ مكتوم بن راشد المكتوم ولي عهد دبي يوالي استشاراته وسيعرض نتائجها على الحكام في اجتماعهم في قصر «الخبيرة» يوم الثلثاء. وتمنى ان تكون الاستشارات مجدية لتعلن الحكومة الجديدة. وأعرب عن إيمانه بأن دولة الامارات هي تعبير عن تمسك ابناء المنطقة بالوحدة، والأمل ان تتوسع لتشمل كل دول الخليج العربية بما في ذلك قطر والبحرين والكويت ولو عن طريق اتحاد فيديرالي. وبات من المنتظر ان تحضر رأس الخيمة اجتماع الحكام يوم الثلثاء.

وختم رئيس دولة الامارات بأنه يشكر للدول العربية مساندتها. وقال ان الدولة الجديدة مستعدة لتقديم كل ما تملكه في سبيل نصرة القضايا العربية. وأشار الى ان قضية فلسطين هي قضية كل عربي وفي قلبه، وان إمارات الخليج لن تألو جهداً لتقديم كل ما

يطلب منها لتحقيق النصر. وصرح وزير الدولة لشؤون الرئاسة السيد احمد خليفة السويدي الذي حضر المقابلة ان الحكومة الاتحادية قد تعلن غداً أو بعد غد، وان اختيار الوزراء سيتم على اساس الكفاية، فقد يمثل امارة صغيرة أكثر من وزير إذا كانوا يتمتعون بالصفات المطلوبة.

وعن المناصب التي ستسند اليه قال ان ذلك متروك للرئيس المكلف وان كان هو شخصياً مشارك في الاستشارات. وذكر ان ثمة زيارات قد يقوم بها رئيس دولة الامارات أو من ينوب عنه، للدول العربية إذا لزم الأمر.

ورداً على سؤال عن العلاقات مع السعودية قال انها علاقات اخوة ومحبة وان السعودية هي الشقيقة الكبرى في المنطقة. وكانت سرت اليوم اشاعات مفادها ان اجتياحاً سعودياً بات محتملاً لمنطقة البريمي. لكنها لم تتأكد. وعقد المجلس الاستشاري لابو ظبي جلسة قبل ظهر اليوم وقف فيها دقيقة صمت حداداً على الغزو الايراني لجزيرتي الطمب الكبرى والطمب الصغرى. كما استنكر المجلس الغزو وناشد الدول العربية مساندة ابناء الخليج على استعادة ارضهم السليبة. ورفع المجلس رسالة الى الشيخ زايد بن سلطان يهنئه بقيام دولة الامارات. وكان الشيخ زايد استقبل اليوم السيد عبد الحليم خدام نائب رئيس الوزراء في سوريا ووزير الخارجية الذي وصل على رأس وفد للتهنئة. وتسلم منه رسالة من الفريق حافظ الاسد بتأييد الدولة الجديدة. وصرح الخدام بأن سوريا تعتبر قيام الاتحاد الجديد نصراً للعروبة. وعند الظهر وصل الوفد الكويتي برئاسة وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة الشيخ صباح الأحمد الجابر، وسلم الشيخ زايد رسالة من أمير الكويت الشيخ صباح سالم الصباح.

وصرح الوزير الكويتي لـ «النهار» بأن قيام الدولة الجديدة هو

تحقيق للاماني العربية ولاستقرار المنطقة وأمنها. وقبل الغداء تباحث الوفد الكويتي مع المسؤولين في ابو ظبي، وعلى الأثر صرح الوزير احمد السويدي بأن البلدين اتفقا على اقامة علاقات ديبلوماسية بينهما بدرجة سفارة.

وفي المساء وصل الوفد الليبي برئاسة الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الصناعة والاقتصاد. وصرح جلود بأنه جاء يدرس الوضع في الخليج بعد الاحتلال الايراني على الطبيعة. وعندما سئل هل لوحت ليبيا بإرسال قوات الى المنطقة لحماية الجزر قبل الغزو الايراني، أجاب: ان ذلك غير ممكن لأن ليس في المنطقة قواعد تموين واتصال تؤمن الانزال الليبي. وأضاف:

«أولئك الذين يتبجحون بأن الحرب هي السبيل الوحيد لاستعادة الاراضي المحتلة، وبأنهم يرفضون مشروع روجرز والتسوية السلمية وقرار مجلس الأمن، ما بالهم الآن لا يحاربون؟ وقد طويت التسوية السلمية كما طوي مشروع روجرز وقرار مجلس الأمن».

وكان واضحاً ان جلود يغمز من قناة العراق الذي يمثله الآن في أبو ظبي الدكتور سعدون حمادي والسفير في الكويت السيد صبحي الحديثي.

من جهة أخرى، وصلت معظم الوفود الى مؤتمر «الأوبيك» الذي يبدأ جلساته صباح الثلثاء. وصرح وزيرالبترول والصناعة في ابو ظبي السيد مانع بن سعيد العتيبة، بأن وفود دول الخليج العربية في المنظمة، وهي ابو ظبي وقطر والسعودية والعراق والكويت، ستجتمع غداً الاثنين لتنسيق مواقفها من جدول الاعمال ولا سيما من قضيتي المشاركة وزيادة الاسعار تعويضاً للخسائر التي الحقتها أزمة الدولار بالاقطار المنتجة للنفط.

وما أشبه الليلة بالبارحة. أسماء غابت وأسماء لا تزال تتردد ودول

طارت وأخرى في الميزان. الكلام عن قوات عربية لحماية المنطقة والكلام أيضاً عن اجتياحات أو الخوف من اجتياحات كما هو حاصل في هذه الفترة. ودقائق صمت بسبب جزر طارت والأيام هذه ضجات تقوم ولا تصمت خوفاً من أن تطير دول. والسيناريو واحد والأبطال هم هم مع بعض التغيير في التفاصيل ولعب الأدوار. سبحان مغير الأحوال الذي لا يتغير.



الخاتمة

كأنك أمام شاشة التلفزيون تستعيد ما حصل. وما يحصل كأنه يحصل أمامك الآن. أحداث تتابعت وذكريات أينعت وتفاصيل كأنها تجري الآن: اميركيون وإيرانيون وسعوديون وبريطانيون رحلوا. سيناريوهات الواحد منها ينطح الآخر كأنه تاريخ يعيد نفسه. ليس فيه من التأليف شيء ولا من الاختراع شيء أيضاً. الشيء الوحيد الذي يكرر نفسه هو عرب الجزيرة والخليج والحماة الجدد الذين هم الأميركيون والجيران المزعجون الذين هم الايرانيون. ثم فجأة نبت في الجيرة من هم أكثر ازعاجاً، وتلاطمت وتتلاطم مياه الخليج العربي.

هل هو التاريخ يعيد نفسه. اقرأ، بل أعد القراءة ثانية وثالثة وعد الى نفسك وفكّر: هل استفادت المنطقة من درس واحد؟ هل استفاد العالم من درس هو أيضاً؟ لا هذا ولا ذاك حصل. ما حصل هو أن المنطقة الأكثر غنى في العالم والأكثر أهمية استراتيجية كانت ولا تزال تتلوى وتعاني.

من المصيب؟ من المخطيء؟ لسنا في وضع يؤهلنا لاعطاء دروس في الوطنية أو غيرها، لكن ثبت ولا شك. ان خارطة جديدة تعد للمنطقة، كيف؟ ولماذا؟

السؤال الأول لا جواب عنه لأنه مطروح للمستقبل. أما الثاني

فالجـواب عنـه فيما سبق من تحقيقات وأخبار وتحليلات. وأبناء المنطقة يفهمونها أكثر من غيرهم ونحن ننتظر منهم الجواب.

■ بداية.. لها تابع

كنت أتمنى أن يكـون الخليج العربي في حال غير هذه، والخليج العـربي كان ولا يزال صنـدوق العـالم، فتـح أحضانه وذراعيه للملايين من العرب وأبناء العالم الثالث، يكدون ويعملون ويحولون كل عام المليارات الى عائلاتهم وبلدانهم تدعم اقتصادها وتساهم في تنميتها.

والخليج العربي نسبة اليّ، لم يكن مرحلة، بل هو تاريخ وعمر. وما كتبته وأكتبه ليس تأريخاً ولا هو توثيق، انما ذكريات وشذرات من ذكرى. قد يكون في بعضها ما يثير حفيظة البعض، ولم يكن قصدي ذلك، ان كان في بعض الأحداث والذكريات ما هو مستغرب، فما ذلك الا لفارق الزمن، وبخاصة ان وقت حدوثها، كان بداية انفتاح الخليج على العالم، وانبهار أبنائه بما يطل عليهم من أشياء كانت مخبوءة وراء ستار الزمن. وان كان في بعض المرويات ما يضحك، فلم يكن قصـدي الاضحـاك. بل روايـة أمينة لما كان. وكان رد الاستغـراب عنـد البعض هو أن الخليجيين كانوا يعيشون طي النسيـان. كان نسيهم الزمن والعـالم، وبـالأخص العرب. كانوا معزولين. اتصالهم بالعالم الخارجي قليل أو مقطوع بالمرة. لذلك كانت تصرفات بعضهم مستغربة، نسبة الى العالم الآخر الذي كان يعيش الدنيا على وسعها.

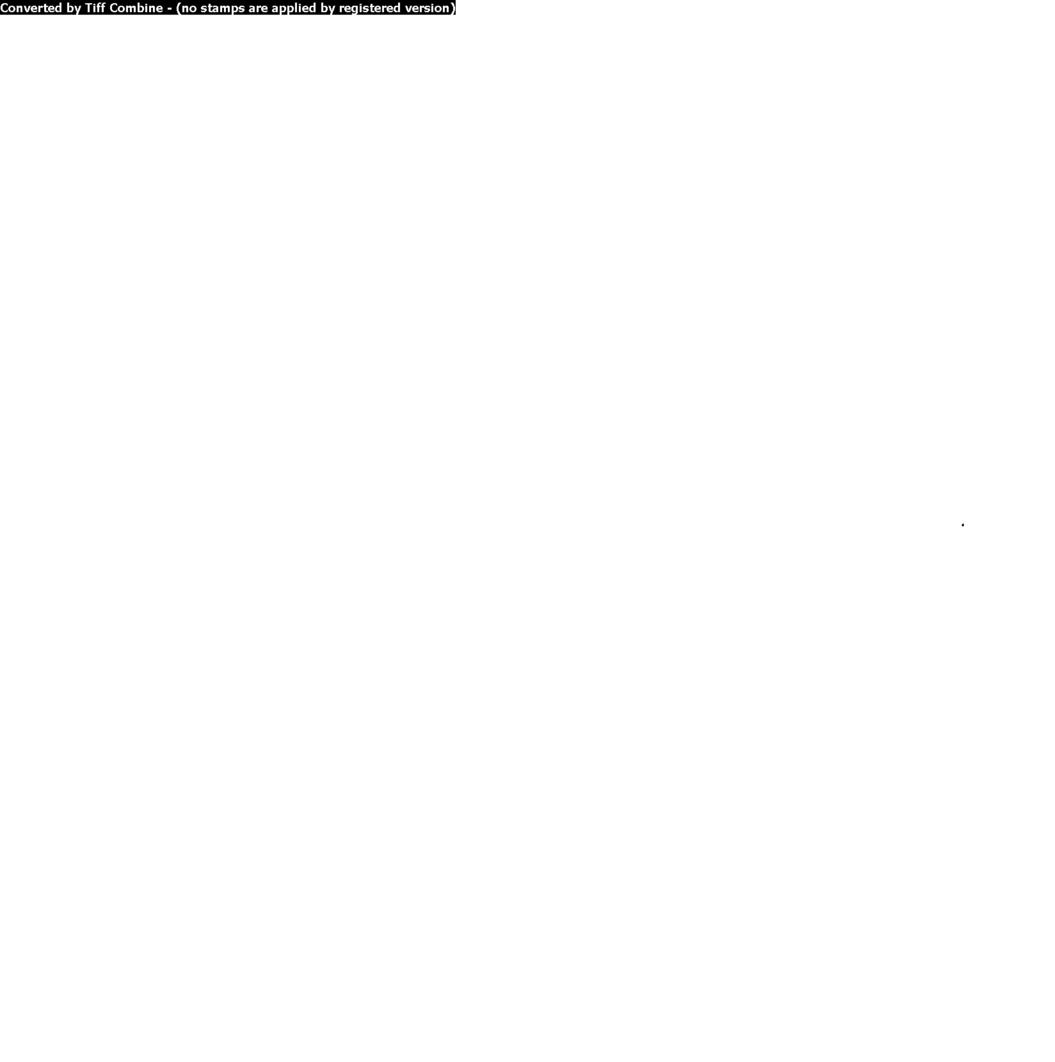
وفي كل ما رويت لم أكن أقصد الا اعطاء صورة لما كان قبل خمس وعشرين سنة وأكثر. وبعد هذه السنوات، التي هي في مقياس الزمن لا شيء، طلع الخليج العربي وكأنه مارد خرج من قمقم. تقدم على كثـير من الذين كانوا متقدمين بعدما تأخروا. مدنهم تفوق أرقى

المدن بناء وتنظيماً، وكذلك مؤسساتهم، حتى ان انسانهم قفز قفزات هائلة ومتقدمة.

قد يكون للبعض تجربة مرة مع الخليج أو مع خليجي، فتعكس هذه التجربة على نفسه وعواطفه مرارة نحو الخليج والخليجيين.

وهذا الكتاب هو الأول في سلسلة ستصدر تباعاً، الأول خصص لدولة الامارات العربية المتحدة التي كانت تجربة وحدوية رائدة، وتجربة فذة في القفز الى الأمام. ودولة الامارات على الرغم من حداثة قيامها أثبتت رسوخها. والمرويات عنها هي لتاريخ مضى. وان كانت عبارة عن هنات، لكنها مقارنة بما هي عليه الآن، تعبر عن المخاض الذي اجتازته، وكانت الدولة الناجحة. بعد دولة الامارات ستكون الذكريات عن الكويت، قبل نكبتها، ثم البحرين، وقطر وبعدها سلطنة عمان.

آمل أن أكون أديت واجباً تجاه منطقة احتضنتني لفترة واحتضنها قلبي، على أمل استقرار العالم العربي وتوحيد أبنائه وتحقيق آمالهم وأمانيهم القومية والحيوية في الرخاء والأمن والسلام والاستقرار.



فهرس عام





رحلة عمر

يروي الصحافي علي هاشم في هذا الكتاب مسيرة عقدين من الزمن امضاهما في التجوال والترحال في منطقة الخليج العربي. ويحاول من خلالهما ان يستعرض السنوات «الحلوة» و «المرة» التي شهدتها هذه المنطقة، او ما يسميه «طفرة» النفط التي اغرقت المنطقة؛ بالمال والذهب كما اغرقت بعض النفوس بالغرور والجشع، ونكسة ما بعد «الطفرة» حيث لم تعد هناك ثقة لا بالناس ولا بالاصدقاء ولا بالمستقبل.

ويلخص علي هاشم كتابه بقوله ان فيه اراء وليس احكاماً قاطعة.. «وارجو ان تكون ارائي صائبة لا تسبب ازعاجاً الا للذين يستحقونه».

1855130297